# الفصل الخامس
# الرَّسالات السماوية الكبرى

## رسالة سيدنا موسى

سيدنا موسى Moïse عليه السلام: يرى المؤرخ الفرنسى جى راشيه Guy Rachet أنَّ أكبر أسباب كراهية اليهود لمصر والمصريين هو أنَّ جميع الأدلة العقلية والنقلية تؤكِّد أنَّ نَبِيَّهُم الأكبر موسى عليه السلام ليس من بنى إسرائيل؛ فهو مصرى الأصل، والاسم، والمولد، والنشأة، والعقيدة، واللغة، والتفكير[1]؛ ففى البشائر: " ٢٢ فَتَثَقَّفَ مُوسَى بِعُلُومِ مِصْرَ كُلِّهَا، حَتَّى صَارَ مُقْتَدِراً فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. " وهذه العبارة ذاتها فى الترجمة الكاثوليكية " لُقِّنَ مُوسَى حِكْمَةَ الْمُصْرِيِّينَ كُلَّهَا "[2].

وقد ورد فى التقليد أنَّ ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقِّهونه علوم المصريين[3].

فموسى تربَّى فى قصر فرعون كطفل مصرى، ولا يمكن أنْ يتصوَّر إنسان أنْ يقبل فرعون ـ أو أىُّ فرد من أفراد أسرته ـ أنْ يعيش فى قصره طفل من بنى إسرائيل، وسوف أقدِّم الأدلة العلمية الَّتى تثبت ذلك، ثم أبيِّن صحة تلك الأدلَّة ممَّا قصَّه القرآن الكريم، ومما جاء فى أقوال المؤرخين فى كتب التاريخ، وفى الأسفار اليهودية.

---

(١) Guy Rachet ; op cit , p ٧١

(٢) أعمال الرسل ٧: ٢٢.

(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٦.

۞ يقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس Josèphe Flavius [1]: إنَّ موسى كان حاكمًا أو كاهنًا مصريا، وكان من كبار قادة الجيش، وفى حملته على الحبشة حقَّق انتصارًا عظيمًا، وتزوَّج من بنت ملك الحبشة "تربيس" وأنَّ فرعون مصر ترموثيس Thermuthis هو الَّذى اختار لموسى هذا الاسم، وهو مركَّب من كلمتين: "مو" ومعناها: "ماء"، و"أوس" ومعناها: " إنقاذ "، فى إشارة إلى انتشاله من الماء.

وتروى الأسفار اليهودية قصَّة ولادة سيِّدنا موسى عليه السلام وطفولته فى العبارة الآتية:

" وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِى فَتَاةً ابْنَةَ لاَوِى. ٢ فَحَمَلَتِ الْمَرْأَةُ وَأَنْجَبَتِ ابْناً، وَإِذْ رَاقَهَا جَمَالُهُ خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. ٣ وَلَمَّا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُخْفِيَهُ بَعْدُ، أَتَتْ بِسَفَطٍ مِنَ الْبَرْدِى وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ والزِّفْتِ وأَضْجَعَتِ الطِّفْلَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. ٤ وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَرَى مَا يَحْدُثُ لَهُ.

٥ وَأَقْبَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ لِتَسْتَحِمَّ فِى النَّهْرِ، بَيْنَمَا رَاحَتْ وَصِيفَاتُهَا تَتَمَشَّيْنَ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ فَأَرْسَلَتْ وَصِيفَتَهَا لِتَأْتِى بِهِ. ٦ فَفَتَحَتْهُ وَرَأَتِ الطِّفْلَ وَإِذَا هُوَ يَبْكِى، فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ» ٧ فَقَالَتْ أُخْتُهُ لِابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟» ٨ فَأَجَابَتْهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي»؛ فَمَضَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الصَّبِى. ٩ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «خُذِى هَذَا الصَّبِى وَأَرْضِعِيهِ لِى، وَأَنَا أُعْطِيكِ أُجْرَتَكِ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الصَّبِى وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠ وَلَمَّا كَبُرَ الْوَلَدُ، رَدَّتْهُ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَتَبَنَّتْهُ وَدَعَتْهُ مُوسَى (وَمَعْنَاهُ مُنْتَشَلٌ) قَائِلَةً: «إِنِّى انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»[2].

---

(١) يوسيفوس فلافيوس Josèphe Flavius ( ٣٧ ـ ١٠٠م ) كاهن، مؤرخ، يهودى، ولد فى أورشليم، واشترك فى حرب اليهود ضد الرومان، وعمل مترجما لتيتوس، وصحبه إلى روما، ويعتبره اليهود خائنا، وأشهر كتبه "تاريخ اليهود القديم" وقد ألَّفه أولا باللغة السريانية الآرامية، ثم ترجمه إلى اليونانية، ومنها إلى اللاتينية والفرنسية، وله ترجمة عربية طبعت ثلاث مرات فى بيروت، فى سنوات ١٨٦٦، ١٨٧٢، ١٩٠٩، ولا يعرف اسم معرِّب هذا الكتاب.
انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ / ١٩٥٦.

(٢) خروج ٢: ١ ـ ١٠.

وقبل أنْ أذكر شروح صهاينة المسيحيين هذه الفقرة وتعليقنا عليها أحبُّ أنْ أنبِّه إلى الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى: سكتت جميع الأخبار الَّتى بين أيدينا عن والد سَّيدنا موسى ﷺ ؛ فلم تفصح عن وجوده أو موته عند ولادة سيِّدنا موسى ﷺ، والأخبار الَّتى بين أيدينا تشير إلى أنّ أخاه هارون ﷺ كان أكبر منه سنًّا ـ ربَّما كان يكبره بثلاثة أعوام فقط ـ وأنَّ أختهما مريم كانت أكبر منهما معًا، فهى الَّتى خرجت لتقصّ أخبار أخيها، وتتعرَّف على أحواله، وتراقب ما يحدث له، وهذا دليل على أنَّ هارون كان ما يزال حدثًا غير مدرك، ولا يستطيع أنْ ينهض بمثل هذه المهمَّة، وعلى هذا فموسى أصغر إخوته، والراجح عندى أنَّ أباه كان قد مات قبيل مولده أو فارق الحياة وهو بعد ما يزال طفلا رضيعا؛ وينبنى على هذا الرجحان أمران هامَّان:

الأمر الأوّل: أنَّ فى هذا تأكيدا لسنَّة الله تعالى فى أصحاب الرسالات الثلاث الكبرى فى تاريخ البشرية؛ فرسول الله محمد بن عبد الله ﷺ مات أبوه وهو فى بطن أمِّه، وسيِّدنا عيسى ﷺ لا أب له، فهو كلمة الله ألقاها إلى العذراء الصدِّيقة مريم، وسيِّدنا موسى ﷺ من المؤكَّد أنَّه لم ير أباه ولم يعرفه: إمَّا لأنَّه مات قبيل مولده كما افترضنا، وإمَّا لأنَّه تربى فى بيت فرعون بعيدًا عنه؛ وكأنَّما أراد الله ﷻ أنْ يُعَدَّ هؤلاء الرسل إعدادًا خاصًّا بهم يناسب ثقل المهام الَّتى ستلقى عليهم فى مستقبل أيَّامهم وحتَّى لا يكون لأحد من الناس فضل عليهم ولو كان أقربهم منهم رحمًا، وأكثرهم عليهم عطفًا ورحمة، وكأنَّما أراد الله ﷻ أنْ يُصْنَعَ هؤلاء الرسل على عينه وحده، وأنْ يُحَاطُوا برعايته وحده، وأنْ يُنَشَّئوا تنشئة استقلاليَّة عصاميَّة فريدة؛ لتكون لهم القدرة على اتخاذ القرار الحاسم فى المواقف الصعبة، وأنْ يَقْوَى عودهم على الصلابة فى الحق والانحياز للفضيلة والخير، ويا له من درس عظيم للمؤمنين بقدرة الله تعالى، ولمن يعى الحكمة منه.

والأمر الآخر: يفسِّر لنا سلوك الأم فى محاولة التخلُّص من ولدها بعد ولادته؛ فهى امرأة كثيرة الأبناء، قليلة المال، ولا عائل لها يعولها هى وأبناءها؛ فأرادت

بوضعه فى الماء أنْ يجده واحد من القادرين ممن يستطيع أنْ يوفِّر له أسباب العيش الَّتى عجزت هى عنها، وأمَّا القول بأنَّها خافت عليه الموت؛ لأنَّ الفرعون أمر بقتل الذكور من الإسرائيليين واستحياء النساء منهم فأراه قولا غير صحيح، وأنَّه أثر من آثار الإسرائيليَّات فى التفسير الإسلامى، وفيما ترويه كتب التاريخ الإسلامى من قصص متعدِّدةٍ أغراضُها عن أسباب قتل الذكور واستحياء النساء، وهذه القصص بتناقضها تدلُّ على زيفها وباطلها، فمن ذلك:

۞ أنَّ المنجمِّينَ أخبروا فرعون أنّهم يَجِدُونَ فى عِلْمِهم أنَّ مولودا من بنى إسرائيل قد أظلَّ زمانه الَّذى يولد فيه يسلبه ملكه، ويغلبه على سلطانه، ويخرجه من أرضه، ويبدِّل دينه؛ فأمر بتقتيل أبنائهم.

۞ أنَّ فرعون رأى رؤيا فى منامه كأنَّ نارًا أقبلت من بيت المقدس حتَّى اشتملت على بيوت مصر، وأخربتها، وأحرقت القبط[1]، وتركت بنى إسرائيل !!! فدعا فرعون السحَّرة والكهنة والقافة والحازة ـ أى: المنجِّمين ـ فعَبَرُوا له الرؤيا بما كان سببًا فى أمره بالتخلُّص من ذكور الإسرائيليين.

۞ وأكذب الأسباب ما قيل: إنَّ فرعون وجلساءه كانوا يتذاكرون معًا ما وعد الله ﷻ به سيِّدنا إبراهيم الخليل ﷺ أنْ يجعل فى ذرِّيته أنبياء ملوكًا، فقال بعضهم: إنَّ بنى إسرائيل لينتظرون ذلك. فقال فرعون: كيف ترون ؟ فأجمعوا على أنْ يبعث رجالا يقتلون كلَّ مولود فى بنى إسرائيل.

۞ وتروى الأسفار اليهوديَّة سببا مخالفًا لكل تلك الأسباب وهو خوف الملك منهم لكثرتهم المزعومة " ٩ فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ١٠ فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلاَ يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الأَرْضِ». ١١ فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ

(١) فى المركز الثقافى المصرى فى طرابلس الغرب ألقى د/ محمد عبد الحليم نور الدين العالم الأثرى محاضرة، بيَّن فيها أنَّ لفظ "قبط" مصرى قديم، ومعناه "مصر المحروسة"، ولا علاقة له بالدين المسيحى ولا بالمسيحيين ولا بطوائفهم المختلفة، ويجب تصحيح هذا الفهم الخاطئ.

الشَّاقَةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَى فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. ١٢ وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلاَلِهِمْ، اِزْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوُّهُمْ، فَتَخَوَّفُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ١٣ فَتَفَاقَمَ عُنْفُ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ. ١٤ وَأَتْعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ فِى الطِّينِ وَاللَّبِنِ كَادِحِينَ فِى الْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِى كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الشَّاقَةِ. ١٥ ثُمَّ قَالَ مَلِكُ مِصْرَ لِلْقَابِلَتَيْنِ الْعِبْرَانِيَّتَيْنِ الْمَدْعُوَّتَيْنِ شِفْرَةَ وَفُوعَةَ:

١٦ «عِنْدَمَا تُشْرِفَانِ عَلَى تَوْلِيدِ النِّسَاءِ الْعِبْرَانِيَّاتِ رَاقِبَاهُنَّ عَلَى كُرْسِى الْوِلاَدَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمَوْلُودُ صَبِيّاً فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتاً فاتْرُكَاهَا تَحْيَا.[1]

وأمَّا الطرق الَّتى اتَّبعها فرعون فى إهلاك الأطفال فقد رُوِيَت أيضا بروايات متعدِّدة بشعة، فمن ذلك:

۞ أنَّ فرعون أمر القوابل من نساء أهل مملكته بقتل غلمان الإسرائيليين.

۞ أنَّه أمر بتعذيب الحبالى؛ فأمر بالقصب، فيُشَقُّ حتَّى يُجْعَلَ أمثال الشِّفار، ثمَّ يُصَفُّ بعضه إلى بعض، ثمَّ يؤتى بالحبالى من بنى إسرائيل، فيوقفن عليه، فيحِزُّ أقدامهنَّ حتَّى إنَّ المرأة منهن لَتَمْصَعُ بولدها ـ أى: تلقيه ـ فيقع بين رجليها، فتظل تطؤه تتقى به حزَّ القصب عن رجليها، لِمَا بلغ من جهدها

ولَمَّا أوشك بنو إسرائيل على الفناء، دخل رءوس القبط على فرعون، وكلَّموه فى أنْ يبقى على بعضهم حتَّى لا تتوقَّف أعمالهم؛ فقد كانوا يكلَّفون بالأعمال الدنيا فى المجتمع، فأمر أنْ يذبحوا سنة، ويتركوا سنة، فلمَّا كان فى تلك السنَّة الَّتى تُرِكُوا فيها وُلِدَ هارون، وولد موسى فى السنة الَّتى يُقْتَلُون فيها[2].

أرأيت إلى هذا الخيال اليهودى فى إلصاق إجرامهم بالمصريين، وكأنَّ فرعون وقومه من فرق المارينْز الصهيونى الأمريكى يلتذُّون بلعق دماء الأبرياء، وتعذيب النساء فى العراق وأفغانستان ؟

---

(١) خروج ١: ٩ ـ ١٦، وانظر: قصة الديانات ٣٠٤.

(٢) تاريخ الطبرى ١ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨، الكامل فى التاريخ ١ / ٩٦.

كلُّ هذه الروايات من أكاذيب اليهود، ولا أصل لها؛ لأنَّ المذكور فى القرآن الكريم أنَّ الفرعون لم يصدر أوامره تلك إلاَّ بعد المواجهة السافرة بينه وبين سيِّدنا موسى عليه السلام الَّذى سفَّه عقيدته، وكذَّب ألوهيَّته، ودعاه إلى عبادة الله وحده، ولم يكن هذا الأمر موجَّها ضدَّ بنى إسرائيل وحدهم كما زعموا، وإنَّما هو انتقام الفرعون الظالم المدَّعى الألوهيَّة ممنْ خرج عن طاعته، وتمرَّد على عبادته، وأعانه عليه الفاسقون من قومه الَّذين استخفَّهم فأطاعوه، والقرآن الكريم صريح فى بيان التوقيت الَّذى أصدر فيه الفرعون هذه الأوامر، واقرأ هذه الآيات البيِّنات، وتدبَّر معانيها لتدرك الخدعة الكبرى الَّتى عاشها المسلمون قُرُونًا طويلةً، يردِّدون فيها أكاذيب اليهود:

۞ قال تعالى على لسان السحرة المصريين الَّذين آمنوا بالله، واتَّبعوا موسى؛ فأمر فرعون بتعذيبهم، وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وتصليبهم فى جذوع النخل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾[1].

۞ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

فالطائفة المستضعفة فى الآيات الكريمة هم المؤمنون الموحِّدون الَّذين اتَّبعوا

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٢٥ ـ ١٢٧ وراجع سياق القصة فى الآيات السابقة والتالية من السورة.
(٢) سورة القصص ٢٨: ٢ ـ ٦.

موسى، وآمنوا بربِّ العالمين، وهم الَّذين يهدّدون عرش فرعون، وينذرونه بالهلاك.

۞ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾[1].

هذه هى جميع الآيات الواردة فى القرآن الكريم الَّتى تتضمن التوقيت الَّذى أمر فيه فرعون بعقاب المؤمنين[2]، وظاهر الآيات الكريمة تبيِّن أنَّ أوامر الفرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء كان يوم الزينة ـ وهو يوم المواجهة بين السحرة وموسى، يوم المواجهة بين الكفر والإيمان ـ بعد دعوة موسى إلى دين الله، ووحدانيته، وعبادته، لا قبل ذلك رجمًا بالغيب، واتِّباعًا للهوى، والله أعلم بمراده، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) هناك ثلاثة مواضع أخرى فى القرآن الكريم ذكرت فيها هذه الأحداث، وفيها تذكير بنى إسرائيل ـ بعد خروجهم من مصر ـ بنعمة الله عليهم إذ نجَّاهم من فرعون وملئه.
راجع: سورة البقرة ٢: ٤٩، سورة الأعراف ٧: ١٤١، سورة إبراهيم ١٤: ٦.

ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1].

ولو كان أمر فرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء قديمًا، قبل يوم الزينة، فما معنى ذكره فى هذه المواضع؟ ولو كان هذا الأمر قديمًا فما العقاب الَّذى أنزله فرعون بالمؤمنين بموسى؟ أم تراهم نجوا من العقاب؟

الملاحظة الثانية: زعم كاتب السفر اليهودىَّ أنَّ ابنة فرعون عندما بَصُرَت بالطفل قالت: « هَذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ » فكيف عَرَفَتْ ذلك ؟

وهل أولاد العبرانيين متميِّزون بشكل خاص يفرِّق بينهم وبين أولاد المصريين؟ أو لعلَّ أمَّـه كانت قد وضعت معه بطاقة تعريف فلمَّا قرأتها ابنة فرعون تعرَّفت عليه؟

وهل كان فى استطاعة ابنة فرعون أو زوجه أو المصريِّين جميعا أنْ يخالفوا عن أمر الفرعون الإله فيستحيوا طفلا من العبرانيين أمر الفرعون بقتله ؟

أيريد هذا الحاخام المخرِّف الذى كتب هذا السفر أنْ يستخفَّنا فنصدِّقه كما استخفَّ فرعون قومه فأطاعوه ؟

الملاحظة الثالثة: لا تشير العبارة اليهوديَّة إلى سبب مقنع لتبنَّى ابنة فرعون طفلاً، سواء أكان عبرانيا أم كان مصريًّا، فما حاجتها إلى ذلك، وهى ليست زوجًا لأحد، وليست عاقرًا، وما من سبب يضطرها إلى رعاية طفل ضال؛ والصحيح ما ذكره القرآن الكريم من أنَّ زوج فرعون المؤمنة هى الَّتى أبقت على الطفل؛ لأنَّها لم تكن

---

(١) سورة طه ٢٠: ٥٧ ـ ٧٣.

تنجب؛ فاتخذته لها ولدًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

وقد يقول البعض: إنَّ فى هذه الآية الكريمة ما يشير إلى أمرين:

الأمر الأول: إمكان قتل الصبى، وهذا صحيح، لا لأنّهم عرفوا أنَّه إسرائيلى كما يزعم اليهود، بل لأنَّ النسب الملكى الفرعونى نسب إلهى عال، ولا يمكن أنْ يترك للاختلاط بدماء الشعب والدهماء، ولا أظنَّ أنَّه كان فى ذلك العصر ملاجئ أو دور للأيتام حتَّى يمكن إيداع الصبى فيها، وربَّما فكَّر فرعون فى أنَّ الطفل قد يكون من أبناء أعدائه، وهو أمر متوقَّع فى كل حال؛ فلا يَعْرِفُ التاريخ ملكًا بلا أعداء، سواء أكان سبب العداء الصراع على العرش أم كان اختلاف العقيدة، ونحن نعلم أنَّ بقايا من أتباع ديانة التوحيد الَّتى دعا إليها إخناتون كانت ما تزال تُحَارَب من السلطة الوثنية الحاكمة، وكان أتباعها يتربصُّون الدوائر بالوثنيين فى ذلك الصراع الأبدى بين الحق والباطل.

والأمر الآخر: أنَّ هناك من يراقبهم، فتجب مداراتهم حتَّى لا يشعروا ببقاء الطفل حيًّا، فإذا ما ورث العرش كابن لفرعون لا يجد من يناوئه فى سلطانه، وقد أشار المفسرون إلى هذه المعانى فى معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فقالوا: قد تكون الجملة:

۞ ابتداء كلام من الله تعالى، أى: وهم لا يشعرون أنَّ هلاكهم سيكون بسبب هذا الصبى؛ فهم لا يدرون ما أراده الله من التقاطهم إيَّاه من الحكمة العظيمة البالغة والحجَّة القاطعة.

۞ وقد تكون كما قيل: هو من كلام المرأة، أى: وبنو إسرائيل لا يدرون أنَّا التقطناه، ولا يشعرون إلاَّ أنَّه ولدنا نحن[2].

---

(١) سورة القصص ٢٨: ٩.

(٢) راجع معنى الآية الكريمة فى تفسيرى القرطبى وابن كثير.

ونعود الآن إلى شروح صهاينة المسيحيين للعبارة السابقة، يقول شارح الأسفار اليهودية: اسم موسى فى العبرية " موشيه " من الفعل "مشا " أى: انتشل، غير أنَّ ابنة الفرعون لا تتكلم العبرية، وهو فى الواقع اسم مصرى يعرف بصيغته المختصره " موزس " وبصيغته الكاملة "توت موزس" وتعنى: الإله توت ولد[1].

وقد اجتهد الدكتور أحمد بدوى فى محاولة تفسير اسم "موسى"؛ فذكر أنَّه ربَّما كان اختصارًا لاسم مركب من مثل "آمون موسى"، أو "أحموسى"، أو "رع موسى"، أو" تحوت موسى"، أو "بتاح موسى"، واختصاره غير معروف فى اللغة المصريَّة إلاَّ إذا أراد موسى تحرير اسمه من الوثنيَّة الفرعونيَّة، فجرَّد اسمه من أسماء الآلهة؛ لأنَّه يدعو إلى دين جديد، باسم جديد[2].

لاحظ أيُّها القارئ الكريم أنَّ فى أقوال المؤرخين وشرَّاح الشريعة الخطيَّة الَّتى يدعونها "الكتاب المقدَّس" مغالطتين تاريخيتين كبيرتين، يجب التنبيه إليهما:

المغالطة الأولى: أنَّهم يفترضون وجود اللغة العبرية فى زمن موسى ﷺ، أو قبله وهو كذب صريح، لا أصل له فى الواقع أو التاريخ؛ فاللغة العبرية لهجة كنعانية آرامية بدأ ظهورها متعثِّرًا بعد موسى ﷺ بعدَّة قرون، وكتبت بها بعض الأسفار اليهودية فى زمن السبى البابلى ٥٨٦ ـ ٥٣٩ ق. م.، وكانت لهجة بدائية عرفت باسم " اللغة التوراتية "، ثم عرفت فيما بعد باسم " العبرية "، ولم يكن لها وجود فى عهدى داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ ولم تضبط أصولها وقواعدها إلاَّ فى القرن السادس بعد الميلاد[3]، بل إنَّ الذين يقرءون التاريخ بلا وعى خدعتهم أكاذيب اليهود؛ فمنهم من زعم أنَّ اللغة العبرية كانت أوَّلَ لغة ظهرت على وجه الأرض، وأنَّها كانت لغة سيِّدنا آدم ﷺ[4]، والأغرب من كلِّ هذا أنْ يزعم بعضهم أنَّ اللغة العبرية وجدت قبل أنْ يوجد بنو إسرائيل أنفسهم، فيقول "أمَّا اللغة فهى اللغة

---

(١) خروج ٢: ١١.
(٢) فى موكب الشمس ٢ / ٥٨٦ ح ١.
(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٦٣٢.
(٤) قصة الديانات ٣٠٩.

العبرية، لأنَّها أقدم من إسرائيل وبنيه "[1]، ولا أعرف فى حكم العقل كيف تظهر لغة قبل أنْ يخلق الله الَّذين سيتحدَّثون بها إلاَّ إذا كانت على طريقة المطرب سيِّد مكَّاوى ـ رحمه الله ـ "الأرض بتتكلِّم عبرى".

ويقول الدكتور أحمد سوسة: "كانت اللغة الكنعانية هى اللغة السائدة فى فلسطين قبل هجرة قوم موسى إليها، وفى فلسطين تعلَّم قوم موسى اللغة الكنعانية، وعبدوا آلهتم، ثمَّ تكوَّنت بعد ذلك اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية، بعد مرور أكثر من خمسمائة سنة على وجودهم فى فلسطين، ويحرص المؤرخون على أنْ يطلقوا على الكنعانية "عبرانية التوراة Biblical Hebrew" أو العبرية القديمة، فكيف ظهرت هذه العبرية قبل ظهور موسى وقومه، وأى اللغات أسبق الكنعانية والآرامية أو العبرية ؟ وفى ذلك مغالطة متعمَّدة فلا يتصوَّر عاقل أنَّ هناك لغة تنشأ قبل ظهور المتحدثين بها[2].

والمغالطة الثانية: أنَّ بنى إسرائيل سلالة نقيَّة متميِّزة، محافظة على صفاتها وأعراقها منذ زمن إبراهيم الخليل عليه السلام ـ قبل أنْ يولد إسرائيل نفسه ـ وهو ادِّعاء كاذب، قامت كلُّ الأدلَّة على بطلانه، من ذلك:

فى الأسفار اليهودية أنَّ سيِّدنا موسى تزوج امرأتين:

الأولى " صِفُّورَة " ابنة كاهن مدين ـ وقد تعددت أسماؤه فى العهد القديم منها: رَعَوئيل، يثرون، يترو، حوباب[3].

والأخرى: امرأة حبشية، لم يذكر اسمها، وقد غضب عليه أخوه هارون وأخته مريم بسبب هذه الزيجة، ولكنَّ الله رضى عنها، وارتضاها، وغضب على هارون وأخته لمعارضتهما مشيئة الله[4].

---

(١) اليهود واليهوديَّة ١٣.
(٢) العرب واليهود ٥١٤.
(٣) خروج ١٢: ٢١.
(٤) عدد ١٢: ١.

والمؤكد أنَّ الزيجتين بعيدتان تمامًا عن بنى إسرائيل؛ والمعروف أنَّ آل يعقوب ـ الَّذين يدعونهم الإسرائيليين زورًا وبهتانًا ـ عند نزولهم إلى مصر اختلطوا بالمصريين، وذابوا تماما فى المجتمع الجديد، ولو كان لهم وجود فى ذلك الوقت لتزوج موسى منهم.

۞ روى يوسيفوس عن مانيثون أنَّ موسى من أهل هليوبوليس، وهو واحد من كُهَّانها، وكان اسمه أوسارسيف، على اسم أوسيرس إله هليوبولس، وأنَّه تزعَّم ثورة على عبادة الأوثان الَّتى كانت منتشرة فى عصره، وأنَّه خرج للتبشير بديانة التوحيد[١].

۞ ويؤكد الفيلسوف فيلون الإسكندرى Philon d´Alexandrie[٢] أنَّ موسى كان مصريا[٣].

۞ ويذكر المؤرخ الأمريكى ول ديورنت أنَّ موسى اسم مصرى، لعله اختصار للفظ "حموس"، وينقل عن جارستنج أنَّه اكتشف فى مقابر أريحا الملكية أدلَّة تثبت أنَّ أم موسى هى الأميرة حتشبوت ( ١٥٠١ ـ ١٤٧٩ ق. م. ) ـ والَّتى حكمت مصر فيما بعد ـ وأنَّها ولدته فى عام ١٥٣٧ ق. م.، وأنَّه تربَّى فى بلاطها بين حاشيتها، وفرَّ من مصر فى عهد تحوطمس الثالث ( ١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق. م. ) لأنَّه كان عدوا لها[٤].

۞ ويؤكِّد الأثرى بريستد Breasted أنَّ موسى مصرى عريق، فكلمة "مس" معناها "طفل"، وهى مختصرة من اسم مركَّب من اسمين على عادة الأسماء المصرية القديمة، فيكون الاسم الأول واحدًا من أسماء الآلهة، فيقولون: آمون ـ مس، أو

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٦، والعرب واليهود فى التاريخ ٥٨٦.

(٢) ٢٠ ـ فيلون الإسكندرى ( ٢٠ ق م ـ ٤٠ م ) فيلسوف، ومؤرخ يونانى، من أصل يهودى مولده فى الإسكندرية، ويجمع فى فلسفته بين الإفلاطونية وتعاليم العهد القديم، وله كتاب ضخم فى جزأين عن حياة موسى " La Vie de Moise ". انظر:. op cit , p ٧١ ; Guy Rachet ، وانظر: Nouveau Petit LAROUSSE p ١٦٠٨.

(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٥، وانظر: Guy Rachet ; op cit , p ٤٧٣

(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٦.

بتاح مس، وربَّما كان قبل اسمه واحد من تلك الأسماء، زال تدريجيا بكثرة الاستعمال، حتَّى صار الولد يسمَّى "موسى"[1].

۞ وأكَّد سيجموند فرويد Sigmund Freud ( ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م ) ـ عالم النفس اليهودى الشهير ـ أنَّ موسى ﷺ كان مصريًّا، وليس إسرائيليًا، وكان مختتنا ـ والختان عادة مصرية قديمة جدًّا، أشار إليها هيرودت ـ وأنَّ ديانة موسى هى نفسها الديانة الَّتى تدعو إلى عبادة الإله"أدوناى" الوارد فى التوراة بمعنى عبادة الإله آتون، مع العلم أنَّ تقديم الأضحية والقرابين ـ وهما من أسس الديانة اليهودية ـ عادة مصرية قديمة، كما أنَّ تحريم لحم الخنْزير عند اليهود مقتبس من المصريين الَّذين كانوا ينفرون من الخنازير[2].

وفى الحقيقة أنَّنا لا نجد نصًّا دينيا واحدا ينسب سيِّدنا موسى ﷺ صراحة إلى بنى إسرائيل، لا فى القرآن الكريم، ولا فى الأسفار اليهودية.

ولو تأمَّلنا آيات القرآن الكريم تأكَّد لنا أنَّ موسى ﷺ مصرى، وأرسل إلى المصريين؛ لأنَّ الله ﷻ ما بعث نبيًّا إلى قوم إلاَّ إذا كان من أوسطهم نسبًا، وأعرفهم بهم، ويتحدَّث لغتهم.

ففى القرآن الكريم: آيات كثيرة تؤكِّد أصل موسى ﷺ المصرى، فمن ذلك:

۞ قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[3]. وقال: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٦.
(٢) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٧.
(٣) سورة القصص ٢٨: ٧٦.
(٤) سورة العنكبوت ٢٩: ٣٩.

عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[1].

فالآيات تصرِّح بأنَّ قارون من قوم موسى، ومن قومه أيضا فرعون وهامان، والله أرسله إليهم، فكذبوه، وقتلوا أبناء مَنْ آمن معه واستحيوا نساءهم، وهم المصريُّون الَّذين آمنوا برسالة موسى عليه السلام.

✿ فى يوم الزينة الذى حشر له فرعون السحرة المصريين من كل مدائن مصر، وظهر لهم صدق رسالة موسى عليه السلام فجاهروا بإيمانهم، قال تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[2].

فالسحرة المصريون آمنوا ورضوا بأنْ يتحمَّلوا العذاب الَّذى عاقبهم به فرعون فقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلَّبهم فى جذوع النخل.

✿ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3].

ومن هذه الآيات يتأكد لنا أنَّ سيدنا موسى عليه السلام مصرى، أرسل إلى المصريين، ويتحدث بلسان المصريين، والمؤمنون به مصريون.

✿ قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾[4].

جاء فى تفسير القرطبى:

الذريَّة: هم مؤمنوا بنى إسرائيل، وذلك أنَّ يعقوب عليه السلام دخل فى مصر فى ٧٢ إنسانا؛ فتوالدوا بمصر حتَّى بلغوا ستمائة ألف.

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) سورة طه ٢٠: ٧٠.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤ ـ ٥.

(٤) سورة يونس ١٠: ٨٣.

قال ابن عباس ﷺ: "من قومه" يعنى من قوم فرعون، منهم: مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأته، وماشطة ابنته، وامرأة خازنة... وقيل: هم أقوام من القبط وأمهاتهم من بنى إسرائيل... فالكناية فى " قومه " ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون إذا كانوا من القبط.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

جاء فى تفسير القرطبى: المراد بالبيوت هنا: المساجد، أى: اجعلوا مساجدكم إلى القبلة ( بيت المقدس، وقيل الكعبة ) وقيل: صلُّوا فى بيوتكم سرًّا؛ لتأمنوا.

وفى الأسفار اليهودية: تأكيد على أنَّ الرسالة لا يشترط فيها النسب، فالله " يقود الشعب عن يد أنبياء كموسى الَّذى يورث روحه باختيار من الله، لا بنظام سلالى "[2].

واقرأ هذا الحوار اليهودى بين كليم الله موسى ﷺ والخالق، وهو حوار يظهر فيه النبىَّ كالمعاتب ربَّه على ثقل ما حمَّله، قال: " لِمَ أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ، وَلِمَ لَمْ أَنَلْ حُظْوَةً فِى عَيْنَيْكَ حَتَّى أَلْقَيْتَ عَلَىَّ عِبْءَ هَذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ ؟ أَلَعَلِّى أَنَا حَمَلْتُ هَذَا الشَّعْبَ كُلَّهُ، أَمْ لَعَلِّى وَلَدْتُـهُ حَتَّى تَقُولَ لِى: احْمِلْهُ فِى حِضْنِكَ كَمَا تَحْمِلُ الْحَاضِنُ الرَّضِيعَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى أَقْسَمْتَ لآبَائِهِ عَلَيْهَا ؟ "[3].

واقرأ هذا النص: " هَذَا مُوسَى الَّذِى قَالَ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ: سَيُقِيمُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِى "[4]، ومثله: " قَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ قَدْ خَطِئْتُمْ خَطِيئَةً عَظِيمَةً.... يَارَبِّ قَدْ خَطِئَ هَذَا الشَّعْبُ "[5]، ومثله: " وَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: انْظُـرْ، قَدْ قُلْتَ لِى

---

(١) سورة يونس ١٠: ٨٧.
(٢) مدخل إلى التوراة " مقدمة الكتاب المقدس " ٦٢.
(٣) سفر العدد، الإصحاح ١١: ١١.
(٤) تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٨: ١٥، وأعمال الرسل، الإصحاح ٧: ٣٧.
(٥) سفر الخروج ٣٢/ ٣٠.

أَصْعِدْ هذَا الشَّعْبَ، وَلَمْ تُعَرِّفْنِي مَنْ تُرْسِلُ مَعِي "[1]، وفى السفر نفسه: " أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِى إِلَيْكُم "[2]؛ فلو كان بنو إسرائيل قومَه لكان النص: أنا ذاهب إلى أهلى أو قومى... إله آبائى، بلِّ إنَّنا نجد فى الأسفار اليهودية ما يؤكِّد مصريته؛ فقد قالت بنات كاهن مدين لأبيهن عندما رجعن إليه مسرعات: " إِنَّ رَجُلاً مِصْرِيًا خَلَّصَنَا مِنْ أَيْدِى الرُّعَاةِ، وَاسْتَقَى أَيْضًا لَنَا، وَسَقَى الْغَنَمَ "[3].

واقرأ الأسفار اليهودية من أولها إلى آخرها ـ مع ثقتنا بأنَّها تأليف كهنوتى لا علاقة لها بالتوراة ـ فلنْ تجد فيها نصًا واحدًا يقول فيه مؤلفه: إنّ موسى عليه السلام من بنى إسرائيل.

وسيِّدنا موسى عليه السلام رحل إلى بيت الله الحرام فى مكَّة؛ فقد مرَّ رسول الله ﷺ بوادى الأزرق[4]، فقال: " كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى وَهُوَ هَابِطٌ مِنَ الثَّنِيَّة، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى الله بِالتَّلْبِيَة "[5]، وقد رأينا أنَّ المفسرين ذهبوا إلى أنَّ قِبْلَةَ موسى عليه السلام كانت بيت المقدس، أو الكعبة المشرَّفة، وهما القبلتان اللتان اتَّجه إليهما المسلمون فى صلاتهم.

رأينا فيما سبق أنَّ كل الأدلَّة التاريخية والدينية تشير إلى إنَّ نبى الله موسى عليه السلام مصرى الجنسية واللغة، وبعثه الله إلى المصريين، ولم يكن الإسرائيليون ـ وبالأحرى بقايا من امتزج بالمصريين من سلالة سيدنا يعقوب عليه السلام ـ إلاَّ واحدة من الفئات المستضعفة الَّتى جاء الدين الجديد ليحررها من الظلم والقهر، ولينشر عبادة الله الواحد الأحد، وهى العبادة التَّى نادى بها سيِّدنا يوسف عليه السلام، ومن بعده إخناتون،

---

(١) سفر الخروج ٣٣ / ١٢.
(٢) سفر الخروج ٣ / ١٣.
(٣) سفر الخروج ٢ / ١٩.
(٤) وادى الأزرق بالحجاز، وماء فى طريق حاج الشام دون تيماء.
انظر: معجم البلدان ١ / ١٦٨.
(٥) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٣٧٤، والحديث ٢٦٨ / ١٦٦ أخرجه مسلم كتاب الإيمان ١، باب الإسراء ٧٤، وانظر تخريجات أخرى فى حاشية قصص الأنبياء.

وبعد وفاة هذا الأخير اضطهد أتباعه، واضطروا إلى الهجرة بدينهم فرارا من أذى الوثنيين، وهى الصورة المتكررة فى كل الأديان السماوية.

أنَّ فكرة التوحيد عقيدة مصرية قديمة، وكان إخناتون آخر من نادى بها قبل موسى، مما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبار أنَّ موسى وإخناتون شخص واحد؛ وإذا افترضنا أنَّ النهاية المأساوية التى انتهت بها حياة إخناتون جعلت موسى يفر بفكرة التوحيد خارج مصر؛ لإنقاذها من هجمة الوثنية يصبح هنا فقط لقصد الخروج معنى وقيمة دينية كبيرة.

إنَّ موسى فرض على شعبه "ختان الذكور" وهى عادة مصرية قديمة تدل الشواهد والآثار على انتشارها فى مصر من قبل موسى بـ ١٣٠٠سنة، ولا يملك شخص فرض عادة على قوم إلاَّ إذا كان أميرا ذا سلطة، وكان شعبه يعرف أنَّه تربَّى فى حجر فرعون.

كانت حاشيته شديدة التمصُّر، وتعرف باسم "اللاَّديين" الَّذين فرضوا على اليهود كل عادات المصريين بعد وفاة موسى عليه السلام.

إنَّ عدم وجود أىِّ أثر مصرى يشير إلى قصة موسى والخروج يمكن تفسيره بمعنى أنَّ المصريين لم يسجِّلوا شيئا غير عادى؛ لأنَّ موسى كان يعيش فى سلام، وكان شعبه يعيش فى وادى النيل فى رخاء، يروى العهد القديم نفسه أنَّهم تحسروا عليه عندما تاهوا فى الصحراء " فَتَذَمَّرَتْ جَمَاعَةُ بَنِى إِسْرَائِيل كُلُّهَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِى الْبَرِّيَّةِ، وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيل: لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِى أَرْضِ مِصْرَ حَيْثُ كُنَّا نَجْلِسُ عِنْدَ قِدْرِ اللَّحْمِ، وَنَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ شِبَعَنَا "[1].

إنَّ قصَّة سيِّدنا موسى عليه السلام مشهورة، ذكر القرآن الكريم منها تفاصيل كثيرة فى أكثر من سورة، ولا يخلوا منها كتاب من كتب التفسير أو الحديث أو التاريخ الإسلامى[2]؛ فبيَّنت صراعه مع فرعون وطرده وقومه إلى سيناء، وغرق فرعون

---

(١) خروج ١٦ / ٢ ـ ٣.

(٢) راجع مثلا: تاريخ الطبرى ١/ ٣٨٥، وقصص الأنبياء لابن كثير ٢٥٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٦٣، ودائرة المعارف الإسلامية ٣١ / ٩٧٩٢.

وجيشه، وتلقى موسى الألواح من ربَّه، وعبادة قوم موسى العجل، وعقابهم بالتيه أربعين سنة، ثم وفاة موسى بعد أخيه وأخته... وكل هذه الأحداث لا خلاف فيها ولا يعنينا هنا ذكرها؛ فهى معلومة للجميع.

**المسيح عيسى بن مريم**

سيِّدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام Jésus - Christ ' Le Messie يمثِّل سيِّدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الصورة المكمِّلة للصور الأربع الَّتى ضربها الله ﷻ أمثلة ناطقة بقدرته العظيمة على الخلق، وهى:

الصورة الأولى: الخلق من العدم؛ فمن التراب أوجد الله ﷻ سيِّدنا آدم عليه السلام أبا البشرية، وهو مثال واحد، لم يتكرَّر فى الخلق.

الصورة الثانية: إيجاد أنثى من ذكر، لا أمَّ لها؛ فأوجد الله ﷻ زوج آدم ـ ولم يرد لها اسم فى القرآن الكريم أو السنَّة الصحيحة ـ وآدم عزب، ليس له زوج، وهو مثال واحد، لم يتكرَّر فى الخلق.

الصورة الثالثة: إيجاد ذكر من أنثى، لا أب له؛ فأوجد الله ﷻ سيِّدنا عيسى بن مريم عليه السلام، ومريم عذراء ليس لها زوج، وهو مثال واحد، لم يتكرَّر فى الخلق.

الصورة الرابعة: إيجاد الأبناء والبنات من زوجين: ذكر وأنثى، وهى الصورة المتكرِّرة، وسنَّة الله فى الخلق.

**المسيح فى القرآن الكريم**

تحدَّثت كتب اليهود عن سيِّدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بما لا يليق فى حقِّ الأنبياء؛ فاتهمت أمَّه الطاهرة بالزنا، وجعلته فى الدرك الأسفل من الجحيم باعتباره مجدِّفا، ويهوديّا مارقا من الدين.

وفى موضع الدِّفاع عن المسيح عليه السلام تتخذ كتب المسيحيين موقفا مغاليا؛ فتجعله إلهًا أو ابن الإله، وتجعل أمَّه إلهة أيضا، وتخصهما بالعبادة مع الله والروح القدس.

ولمَّا كان أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ تعالى، والقرآن الكريم مهيمنًا على كتب اليهود

والنصارى، ناسخًا لها، ومصححًا لما فيها من زيغ وباطل فإنَّنا نعرف من القرآن الكريم أنَّ الله ﷻ ربط بين سيِّدنا عيسى عليه السلام وبين سيِّدنا يحيى عليه السلام برباط وثيق؛ فكلاهما وُلِد ببشارة من الله وكلاهما ولد بمعجزة، وكلاهما أوحى إلى المبشَّر به باعتزال الناس، وكلاهما على خلق كريم واحد، وكلاهما أوتى كتابا من عند الله[1].

**فسيِّدنا عيسى عليه السلام:**

بشَّر الله به أمَّه مريم العذراء ـ عليها السلام ـ قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[2].

وأخبرها الملك رسول الله إليها بمولد المسح المعجز، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[3].

وأوحى الله إليها باعتزال الناس بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[4]. وبقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[5].

ووصفه القرآن الكريم بالخلق الكريم، فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[6].

ووصفه بأنَّه رسول من الله أعطى كتابا فى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[7].

---

(١) راجع ٤٥٦.
(٢) سورة مريم ١٩: ١٧ ـ ١٩.
(٣) سورة مريم ١٩: ٢٠ ـ ٢١.
(٤) سورة مريم ١٩: ١٦ ـ ١٧.
(٥) سورة مريم ١٩: ٢٢.
(٦) سورة مريم ١٩: ٣١ ـ ٣٣.
(٧) سورة مريم ١٩: ٣٠.

والكتاب هنا ـ مثل كتاب سيِّدنا يحيى ـ ليس دينا جديدا ناسخًا للشرائع السابقة عليه، بل هو متتم لها[1]، وهو القائل: لاَ تَظُنُّوا أَنِّى جِئْتُ لأُبْطِلَ الشَّرِيعَةَ أَوْ ٱلأَنْبِيَاءَ مَا جِئْتُ لأُبْطِلَ، بَلْ لأُكَمِّلَ، الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ أَوْ نُقْطَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَىْءٍ، أَوْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَٱلأَرْضُ فَمَنْ خَالَفَ وَصِيَّةً مِنْ أَصْغَرِ تِلْكَ الْوَصَايَا وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ، عُدَّ الصَّغِيرَ فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَات، وَأَمَّا الَّذِى يَعْمَلُ بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا فَذَاكَ يُعَدُّ كَبِيرًا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ "[2].

والدَّليل على أنَّ كتاب المسيح ليس دينًا جديدا قول الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

والمسيحيُّون أنفسهم يعرفون هذه الحقيقة، وهى جزء من عقيدتهم ومن أقوالهم فى ذلك:

✡ ـ كان العهد القديم الكتاب الوحيد بالنسبة إلى يسوع وإلى الكنيسة فى أوَّل أمرها، وهو بصفته كتاب التربية اليهودية قد هَذَّبَ إلى حدٍّ ما نفس يسوع، ويسوع بدوره تبنَّى قيمه، وأدخلها فى إنجيله؛ لأنَّه لم يأت ليبطل الشريعة والأنبياء، بل ليكملها[4].

ومن المتفق عليه بين المؤرخين المسيحيين أنَّ المسيح عيسى بن مريم عاش ثلاثا وثلاثين سنة، وكانت مدَّة دعوته ثلاث سنوات فقط، ونلاحظ هنا أمرين هامَّين:

الأوَّل: أنَّ فترة السنوات الثلاث الأخيرة ـ فترة الدعوة ـ واضحة كل الوضوح، جاءتنا بتفاصيل عن حياة المسيح بين تلاميذه، وحوارييه، وأعدائه، ونكاد نلمس فيها نبض قلبه، وتردُّد أنفاسه، وأقواله، وأعماله، لا تخفى منها خافية.

---

(١) ٢٦ ـ عقائد النصارى الموحدين ١١.
(٢) متَّى ٥: ١٧ ـ ١٩.
(٣) سورة المائدة ٥: ٤٦.
(٤) مقدمة الكتاب المقدس " طبع دار المشرق " ٥٥.

والآخر: فترة الثلاثين سنة الأولى من عمره مجهولة تماما، وليس بين أيدينا أى خبر صحيح عنها؛ فلا أحد يعرف أين ولد، ولا متى ولد، ولا كيف ولد ؟

ولا أحد يعرف أين نشأ وتربَّى، ولا كيف نشأ وتربَّى ؟

واطلب أى كتاب شئت فى تاريخ المسيح، تجده يبدأ بالحديث عن ميلاده المعجز، وبعده ينتقل إلى صفاته، ودعوته، وأعماله... دون أنْ يقدِّم شيئا ذا بال عن حياته الخاصة، ونشْأته قبل الدعوة، وكل ما يمكن أنْ نجده فيها حدثين اثنين فقط:

الحدث الأول: تعميده على يد النبى يحيى عليه السلام، دون ذكر لوقت هذا التعميد متى كان، وكم كان عمر المسيح حين عُمِّد ؟

والحدث الآخر: اختبار إبليس المسيح فى البرِّية، وصحبته له أربعين يوما، وقد ورد ذكر هذه الصحبة الشيطانية فى البشائر[1]، ولا أعرف من أين جاءت للشيطان هذه القدرة العجيبة على أنْ يقود المسيح ـ وهو الإله بزعمهم ـ " إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَمَجْدَهَا، وقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذَا كُلَّه إِنْ جَثَوْتَ لِي سَاجِدًا "[2].

ونسأل أصاحبنا المسيحيين:

كيف عرف الشيطان المسيح ؟ وكيف اهتدى إلى مكانه ؟

ألستم تزعمون أنَّ المسيح لبس " جسدًا آدميًّا؛ ليكون بما لبس منه عن الشيطان خفيًّا، فتنكَّر الابن بذلك له؛ لكى لا يحترس الشيطان منه، فلا ينفذ فيه مكره "[3]، ولكن يبدو أنَّ المسيح لم يحسن التَّنكُّر والتخفِّى؛ فكشفه الشيطان، وعرف مكانه.

**مولد المسيح ونشأته**

قلت: ليس بين أيدينا أىَّ خبر صحيح عن مولد المسيح ونشأته، وسأذكر بعض الأمثلة:

---

(١) انظر: مرقص ١: ١٢ ـ ١٣، ومتَّى ٤: ١ ـ ١١، ولوقا ٤: ١ ـ ١٣.

(٢) متى ٤: ٨ ـ ٩.

(٣) الرد على النصارى ٣٨.

✡ "لم يذكر الكتاب المقدَّس شيئًا عن الفترة من سن الاثنتى عشرة إلى الثلاثين من عمره "[١].

✡ يقول جون كلارك ـ الباحث فى وثائق قمران ـ:

" إنَّه من الممكن أنَّ المسيح عاش قبل مائة سنة من التاريخ الَّذى أجمع الناس عليه حتَّى الآن "[٢].

إنْ صحَّ هذا الخبر فقد انهدم كل تاريخ المسيحية؛ فلم يكن معاصرا لهيرودوت، ولا ليوحنا المعمدان، ولا لغيرهما من الأشخاص التاريخيين...

✡ ولد سيِّدنا عيسى بن مريم عليه السلام فى بيت لحم، وهى قرية قريبة من بيت المقدس[٣].

✡ ولد فى مذود فى فندق قروى مزدحم فى طريق بيت لحم[٤].

✡ ولد فى الناصرة[٥]، ومن المؤرخين من يزعم أنَّ المسيح لم يكن قط من الناصرة، والأكثر من ذلك زعمهم أنَّ مدينة الناصرة لم يكن لها وجود أصلا فى ذلك الوقت؛ لأنَّها لم تُذْكَر قط فى كتب الأسفار اليهوديَّة، ويذهب اللاهوتيُّون المسيحيُّون مذاهب شتَّى فى تعليل هذا الاسم تعليلا لغويا، ويقارنون بين الفعل العبرى " نصر " والعربى " نطر " ليستنتجوا من ذلك أنَّ الناصرة قديما كانت تسمَّى نذيرة بمعنى "الطليعة"؛ لأنَّها كانت مرقبا لكشف جبل الشيخ والكرمل ومرج ابن عمير... [٦] وزعم القس فريز صموئيل أنَّه بهذا التفسير اللغوى " تزول الصعوبة الَّتى اعترضت المفسرين الغربيين على الخصوص "[٧].

---

(١) السنوات المجهولة ٩.
(٢) المصدر السابق ١٣٢.
(٣) تاريخ لبنان ٢٥٢.
(٤) لوقا ٢: ٧.
(٥) تاريخ ابن الجزرى ١ / ٥٠.
(٦) السنوات المجهولة ١٨٨ ـ ١٩٣.
(٧) المصدر السابق ١٩٣.

✪ ولد فى كهف على بعد ثلاثة أميال من بيت لحم[١].

✪ وزعم وهب بن منبِّه أنَّه ولد بمصر، وسعى ملك الفرس فى قتله؛ فاحتملته أمُّه، وذهبت به إلى مصر؛ فأقامت بها حتَّى بلغ عمره اثنتى عشرة سنة[٢].

✪ **ومن المسيحيِّين من أنكر وجود المسيح أصلا**[٣].

✪ **كان الأسينيُّون ينتظرون مسيحين لا مسيحا واحدا**[٤].

وتفسير هذا الغموض فى سيرة المسيح أراه يرجع إلى سببين رئيسين:

السبب الأول: طبيعة الميلاد؛ فلا نعرف شخصا فى التاريخ، ولد بلا أب من البشر إلاَّ المسيح عيسى، وما جرَّه هذا الحدث الفذ من أثر نفسى أوجب الإحساس بالخجل والعار وهو الإحساس الَّذى عانت منه السيدة مريم بين أهلها وأترابها؛ فقد اتهمت بالزنا، وحاول بعض المسيحيين إثبات نسب ابنها إلى يوسف النجَّار، واتّهمها اليهود بأنَّها حملت سفاحا من جندى رومانى اسمه بانتيرا Panthera، ويصوِّر القرآن الكريم شدَّة معاناتها بأنَّها تمنَّت الموت لتتخلَّص من هذا العذاب ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾[٥]، ومن المؤكَّد أنَّ هذا الميلاد ترك آثاره البعيدة المدى فى حياة السيِّدة مريم[٦]، كما عانى من هذا الميلاد المسيح نفسه بين أنصاره ومناوئيه، وكثيرا ما عيَّروه نسبه، فعندما قال: " أَنَا الشَّاهِدُ لِنَفْسِى، وَالأَبُ الَّذِى أَرْسَلَنِى يَشْهَدُ لِى أَيْضًا، فَقَالُوا له: أَيْنَ أَبُوكَ ؟ "[٧]، وعندما قال لهم المسيح: " أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ، قَالُوا لَهُ: نَحْنُ لَمْ نُولَدْ لِزِنَى، وَلَنَا أَبٌ وَاحِدٌ هُوَ

---

(١) أبو كريفا العهد الجديد ٥٩.
(٢) قصص الأنبياء، للطبرى ٣٥٤.
(٣) حياة المسيح ١٠٠.
(٤) السنوات المجهولة ١٠٤.
(٥) سورة مريم ١٩: ٢٢ ـ ٢٤.
(٦) عقائد النصارى الموحدين ٩١ ـ ١١٠، وسر مريم أم المسيح ١٠٦ ـ ١١٦.
(٧) يوحنا ٨: ١٨ ـ ١٩.

اللهُ "[1]، ولا يخفى ما فى هذا القول من التعريض بنسب المسيح إلى حدَّ أنَّه كثيرا ما كان يتجنَّب لقاء أمَّه، أو يجمعهما مكان، وربَّما أنكرها[2].

والسبب الآخر: الإخفاء المتعمَّد لسيرته من قبل رجال الكنيسة؛ فقد شهد القرن الثانى الميلادى صراعا فكريا عنيفا بين النصارى الموحدين أتباع المسيح وتلاميذه، وهو فى نظرهم نبى من البشر كغيره من الأنبياء وبين أنصار شاول اليهودى الَّذى تكفَّل بتدمير المسيحيَّة وتقويض بنيانها، هذا الشاول ولد بعد وفاة المسيح، وكان من أشد أعداء المسيحيين، يتتبعهم بالعذاب والأذى، ثم خطر له أنْ يُفْسِد العقيدة ذاتها، ويُضِلَّ معتنقيها فيكون أثره أبقى، وغرضه أوفى، فزعم أنَّ المسيح ظهر له، وناداه، وأخبره أنَّه اختاره رسولاً للأمم، يبشِّر برسالته، ولمَّا كان المسيح قد مات منذ زمن طويل، فكيف ظهر له وحدَّثه ؟ وهنا لا بدُّ من إجابة مقنعة؛ فادَّعى شاول اليهودى أنَّ المسيح حيٌّ، لم يمت، فهو إله، ووجدت هذه العقيدة الجديدة رواجًا بين الوثنيين؛ لاعتيادهم تأليه البشر وعبادتهم، ثم اعتنقها المسيحيُّون، وسمَّوا شاول اسما مسيحيا؛ فأصبح اسمه بولس الرسول، وإذا كان المسيحيُّون يزعمون أنَّ المسيح قام من بين الأموات ـ بعد صلبه ـ وأوصى حواريه، وتلاميذه، وهو أمر يبدو مقبولاً فكيف غاب عنهم أنْ يسألوا أنفسهم هل من سبب مقبول لظهور المسيح لأعدى أعدائه هو وأتباعه ؟ وكيف استطاع هذا الدجَّال الأفَّاك أنْ يخدعهم عن دينهم، وأنْ يبدِّل لهم بعقيدتهم التوحيديَّة عقيدة وثنية ؟

وكيف غاب عنهم أنَّه صور لهم ربَّهم على أنَّه اللعنة، وأنَّهم ملعونون لأنَّهم يعبدون اللعنة نفسها " ١٣ إِنَّ الْمَسِيحَ حَرَّرَنَا بِالْفِدَاءِ مِنْ لَعْنَةِ الشَّرِيعَةِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً عِوَضاً عَنَّا، لأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»، "[3].

ظلَّ الصراع بين المسيحيين الموحدِّين والشاوليين الوثنيين إلى أنْ انتصرت العقائد

---

(١) يوحنا ٨: ٤١.

(٢) عقائد النصارى الموحدين ٩١ ـ ١١٠، وسر مريم أم المسيح ١٠٦ ـ ١١٦.

(٣) غلاطية ٣: ١٣.

الفاسدة رسميا؛ فتمَّ تأليه المسيح فى مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م، حيث تحدَّد فيه تساوى " الكلمة " مع الأب فى الذات والجوهر؛ فالمسيح هو إنسان وإله فى آن واحد، وتمَّ تأليه الروح القدس فى مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م، حيث تحدَّد فيه أنَّ الروح القدس إله، وهو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، وتمَّ تأليه السيِّدة مريم فى مجمع أفسس فى سنة ٤٣١ م، حيَّث تحدَّد فيه وحدة الأقنوم فى المسيح، وأنَّ العذراء مريم هى "أمُّ الله"؛ فأثبت اللقب الَّذى كانت معروفة به فى التقليد المسيحى، وهو "ثيوتوقس "أعنى" أم الله "[١]، وبذلك اكتملت العقيدة المسيحيَّة المثلَّثة، وذلك بالرغم من تواتر الأخبار عن قديسين وقسيسين مسيحيين يؤكدون أنَّ المسيح كان نبيا، وليس إلها، ولا ابن إله[٢].

ترتَّب على عقيدة التثليث هذه العمل على إخفاء أكثر "الأناجيل" الَّتى لا تعترف بتأليه المسيح والَّتى أطلقوا عليها الأناجيل المخفية، أو المنحولة apocryphe وهى النصوص الَّتى لا تعترف الكنيسة بها، ولا تقبلها فى قانون الكتاب المقدَّس، ومن المؤكَّد أنَّ هذه الأناجيل كانت تحتوى على تفاصيل عن حياة المسيح، ربَّما كانت تتفق فى مجملها مع ما جاء فى القرآن الكريم، ومن هذه الأناجيل المخفية " المؤلف المعروف باسم إنجيل يعقوب يروى رواية مفصَّلة أناجيل الطفولة، ويولى اهتمامًا خاصًّا بما جرى لمريم، وبأحداث ميلاد يسوع "[٣].

ولا أعرف من أين جاء لفظ "التثليث" هذا، ونحن فى الحقيقة أمام "تربيع" لا تثليث؛ فلا أعرف أنا، ولا أعلم أنَّ أحدًا من الناس يعرف أنَّ الآلهة قسمان: إله يعبد، وإله لا يعبد.

فإذا كانت السيَّدة العذراء مريم أصبحت إلهة، ورفع جسدها إلى السماء بعد موتها كما رفع جسد ابنها "الإله"[٤] ـ فلماذا لم تعبد مع ابنها وأبيه والروح القدس ؟

---

(١) فلسفة الفكر الدينى ٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٢) السنوات المجهولة ١٣٢.
(٣) مدخل إلى العهد الجديد ١١.
(٤) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ٣١٦.

ألأنَّها امرأة لم تجد من يدافع عنها، ويحفظ لها هيبة ألوهيِّتها ؟ أم لأنَّ عبادتها ستغيِّر الثالوث إلى رابوع، فاكتفوا بعبادتها سرًّا، وإنَّ الله حليم ستَّار ؟

فقد زعم السيِّد بطرس توديبود أنَّهم عندما وصلوا إلى بيت المقدس فى الحرب الصليبيَّة الأولى، وقف المسلمون معجبين بالمشهد الرائع للمسيحيين الذَّين " واصلوا المسير فى موكبهم حتَّى وصلوا إلى دير القديسة مريم المباركة فى وادى جوزفات الَّذى رُفِعَ منه جسدها المقدَّس إلى السماء[1]؛ ومن هنا أصبحت الكنسية الكاثوليكية تقدِّس السيدة مريم، وتسميها (والدة الإله) و(خطيبة الله)، وتخصها ببعض الصلوات والابتهالات[2].

ونعود فنسأل: هل نحن أمام ثالوث أو رابوع أو خاموس ؟

فقد أضاف المسيحيُّون إلى معبوداتهم معبودًا خامسا، فمن المعروف أنَّ الكنائس النصرانية - عدا البروتستانت - تعظِّم الصليب، وتعبده، وتعتبر منكر عبادته مرتـداً؛ وتصنع لذلك الصلبان الذهبيـة والمعدنية والخشبية، ويسجدون لها، ومن صلواتهم قولهم فى ترنيمة السبت (بعد جمعة الآلام): "للثالوث الأقدس، ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح، وللعذراء المباركة الدايمة البتولية، ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء والمجد فى كل الخليقة، ولنا مغفرة جميع خطايانا إلى أبد الآبدين"[3].

لم يكن انحرف العقيدة المسيحيَّة إلى التثليث هو النتيجة الوحيدة للغموض الَّذى أحاطت به الكنيسة سيرة المسيح ورفضها لأكثر البشائر بل كانت هناك نتائج أخرى كثيرة، منها:

---

(١) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ٣٢٨، وفى الحاشية ينقل الدكتور حسين محمد عطية تعريفا بوادى جوزفات من كتاب الممتلكات الكنسيَّة فى مملكـة بيت المقدس الصليبيَّة لسعيد البيشاوى بأنَّه الوادى الممتد شرقى بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا وجبل موريا غربا، ويعرف بعدَّة أسماء، منها: وادى جهنم، ووادى مريم، ووادى النار، ووادى سلوان...

(٢) سلسلة الهدى والنور، المقال الثالث "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة".

(٣) سلسلة الهدى والنور، المقال الثالث "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة"، ويذكر فنديك ترنيمة أخرى فى كتابه كشف الأباطيل، فى الملحق الثالث، فى آخر الكتاب.

اختلاط العقيدة المسيحيَّة بغيرها من العقائد غير المسيحية.

ظهور قصص يكمِّل سيرة المسيح الناقصة ويرسم لها نهاية مختلفة.

ظهور الكثير من أدعياء النبوة والتجسد الإلهى فيهم.

تأثيل أسطورة الخلاص واعتبارها أصلاً من أصول العقيدة.

ولبيان تلك النتائج نقول:

❁ اختلاط العقيدة المسيحيَّة بغيرها: فعادة ما تختلط عقيدة عودة المسيح بعقيدة المهدى المنتظر؛ ففرقة الأحمدية مثلاً تعتقد أنَّ المسيح بعد موته الظاهر أمام الناس على الصليب بُعِثَ من جديد، وعاش حياة طبيعيَّة، وهاجر إلى الهند، وإلى كشمير؛ ليبشِّر بالإنجيل، ومات هناك وعمره مائة وعشرون عاما، ودفن فى سْرِيناجَار Srinagar، ومن عقيدتهم أيضًا أنَّ المهدى تجسَّيد لثلاثة: المسيح، ومحمد، وكريشنا Krishna[1].

❁ ظهور قصص تكمِّل سيرة المسيح: كانت الأمَّة اليهوديَّة أمَّة قليلة العدد، وكانت ترغب فى زيادة عددها؛ "ومن أجل هذا كانت تعلى من شأن الأمومة، وترى العزوبة خطيئة وجريمة، وتجعل الزواج إجباريًّا بعد سنِّ العشرين، لا تستثنى من ذلك الكهنة أنفسهم، وتزدرى العذارى الَّتى فى سنِّ الزواج، والنساء العاقرات، وتنظر إلى الإجهاض وقتل الأطفال، وغيرهما من وسائل تحديد النسل على أنَّها من أعمال الكفرة البغيضة الَّتى تؤذى خياشيم الرب "[2]، ولَّما كان المسيح يهوديًّا وعاش أكثر من سنّ العشرين؛ فمن الواجب إذن أنْ تكون له أسرة زوج وأولاد، ومن هنا كانت القصة التالية:

قال نقولا نوتوفيتش فى كتابه " حياة المسيح المجهولة " الصادر فى سنة ١٨٩٤م: إنَّه سافر إلى الهند، وحلَّ فى دير لاسا، وهو من أديار الرهبان البوذيين، وهناك علَّموه اللغة السنسكريتيَّة، وأخبروه أنَّ المسيح زار بلادهم، وهو فى الثانية عشرة من

---

(١) دائرة المعارف ٢٤ / ٧٥٣٥.

(٢) قصة الحضارة ٣ / ٣٧٥.

عمره، وأقام بينهم، واقتبس من مبادئهم، وتفقَّه بكل تعاليم بوذا، ولمَّا عاد إلى اليهوديَّة أذاع هذه التعاليم على الشعب، وأطلعوه على إنجيل كتبه السيِّد المسيح بخط يده، بلغتهم، حين زار بلادهم.

وقال نوتوفيتش: إنَّه نسخ هذا الإنجيل، وعاد به إلى أوديسَّا، طبعه هناك، ثم سافر إلى فرنسا، ونشره باللغة الفرنسية[١].

ويقول د / فريز صموئيل: بعد ظهور هذا الإنجيل سلَّط عليه النقَّاد أقلامهم، وفنَّدوا ما جاء فيه من مفتريات، وأثبتوا أنَّ نوتوفيتش كذَّاب، ولا أساس لهذا الإنجيل المزعوم[٢].

والحقيقة أنَّ هذه المعلومة تتفق وما هو معروف حول وجود قبر للسيد المسيح فى بلدة سريناجار فى الهند، أى أنَّه عاش، وسافر حتى استقر به المطاف هناك، ورفعه الله إليه عند انتهاء عمره، ولم يقتل، ولم يصلب.. وهو ما تتناوله العديد من الأبحاث منذ كتاب جيرارد ميساديه المعنون: "الرجل الذى أصبح الله "![٣].

❁ أدعياء النبوة والتجسد الإلهى: نعرف أنَّ اليهود أنكروا نبوَّة المسيح وما زالوا ينتظرونه إلى يومنا هذا؛ وكان ذلك دافعًا إلى ظهور الكثير من الأدعياء، فمنذ القرن الأوَّل لا يكاد يمر جيل دون أنْ يظهر شخص أو أكثر يدعى أنَّه ابن الله، أو أنَّه المسيح المنتظر، وليس من أهداف هذه الدراسة تقديم حصر لهؤلاء الأدعياء، أو التأريخ لهم، فهم كثير، وإنَّما أكتفى بمثالين فقط:

❁ ظهر المسيح فى شخص يدعى شينودرس[٤].

❁ وفى منطقة برتانى Bretagne يعلن إيون الليتوالى Eon de l´ Etoile أنَّه ابن الرب، ويعلن الحرب على الإكليروس[٥].

---

(١) السنوات المجهولة ١١.

(٢) المصدر السابق ١٢.

(٣) المصدر السابق ١٥، وانظر: شفرة دافنشى والمؤسسة الكنسيَّة، مقال للدكتورة زينب عبد العزيز، تجده فى ملاحق الكتاب.

(٤) الكتاب والتوراة ١٧٧.

(٥) تاريخ الفكر الحر ٦٦.

❁ أسطورة الخلاص: تتلخَّص أصول العقيدة المسيحيَّة فيما يسمُّونه الأمانة الكبرى، ونصّها " نؤمن بالله الواحد الآب، ضابط الكل، مالك كلِّ شيْء، مانع ما يُرى وما لا يُرى.

ونؤمن بالرب الواحد يسوع بن الله الواحد، بكر الخلائق كلِّها الَّذى ولد من أبيه قبل العوالم كلِّها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الَّذى بيده أتقن، وصار إنسانًا، وحُبِل به، وولد من مريم البتول، وصلب أيَّام بيلاطس الملك، ودفن، وقام فى اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات.

ونؤمن بروح القدس المحيى، المنبثق من أبيه الَّذى هو بموقع الآب والابن، يسجد له، ويمجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدَّسة رسوليَّة، وبمعموديَّة واحدة لمغفرة الخطايا، وتترجى قيامة الموتى والحياة والدهر العتيد، آمين "[1].

إنَّ العدل الإلهى يقتضى ألاَّ يترك المذنب بلا عقاب، ويعاقب البرىء بدلاً عنه، وفى الوقت نفسه لا يعاقب المذنب عقابين على ذنب واحد؛ فإذا كان سيِّدنا آدم ﷺ قد أخطأ فى عصيانه أمر خالقه فقد عوقب على خطئه بالطَّرْدِ من الجنَّة، وفَرْضِ المشقَّة عليه فى مكابدة العيش، ونُفِّذ هذا العقاب، وسقط الذنب، والقرآن الكريم يذكر أنَّ سيدنا آدم تلقَّى كلمات من ربه، فتاب عليه، وعفا عنه.

وليس من العدل الإلهى أنْ يعاقب الله المذنب، وفى الوقت نفسه يظلُّ الذنب ميراثًا للأبناء الَّذين لم يرتكبوا معصية، وعليهم أنْ يتحملُّوا جريرة إثم لم يتكبوه، بل فعله أبوهم.

ولو أنَّ فداء المسيح ﷺ ـ فى زعم المسيحيين ـ رفع المعاناة عن البشر: فالإنسان يأكل دون أنْ يعمل، والمرأة تلد دون أنْ تألم، والحيَّة أصبح لها قوائم تسعى بها، ولم تعد تزحف على بطنها، أو تأكل التراب، لوحدث كلُّ هذا لكان الفداء حقيقة واقعة.

---

(١) مجموعة ديدات "الله فى العقيدة المسيحية" ١ / ٢٠٩.

أمَّا إذْ لم نجد أثرًا للفداء فنحن أمام أحد احتمالين:

الاحتمال الأوَّل: إمَّا أنَّ الله لم يقبل هذا الفداء، وأبقى كلَّ شيْء على ما هو عليه؛ وفى هذه الحالة لا معنى للطنطنة الَّتى يملأ بها المسيحيُّون سمع الدنيا، ولا معنى للمنِّ على البشريَّة بفداء مرفوض مردود على صاحبه.

والاحتمال الآخر: وإمَّا أنْ يكون الفداء أسطورة، لا أساس لها، وإنَّما ابتدعها شاول اليهودى ضمن بدعه الكثيرة الَّتى بدَّل بها دين الله ممثَّلا فى رسالة المسيح إلى دين وضعىٍّ وثنىٍّ، لا علاقه له بتعاليم المسيح.

وزعم الأنبا شنودة الثالث أنَّ المسيح كان فداء لخطيئة العمد الَّتى ارتكبها جدِّه داود[1]، بل كان فداء للبشرية كلها " ٢ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لاَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ. "[2]، وقد ناقش الأستاذ حسنى يوسف الأطير مسألة الفداء مناقشة عقليَّة منطقيَّة[3]، ونسأل أصحابنا المسيحيين: ألستم تؤمنون إيمانًا أكيدًا بما جاء فى الأسفار اليهوديَّة الَّتى نصَّت على لعنة المصلوب: " ٢٢ إِنِ ارْتَكَبَ إِنْسَانٌ جَرِيمَةً عِقَابُهَا الإِعْدَامُ، وَنُفِّذَ فِيهِ الْقَضَاءُ وَعَلَّقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ، ٢٣ فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلِ ادْفِنُوهُ فِى نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ الله. فَلاَ تُنَجِّسُوا أَرْضَكُمُ الَّتِى يَهَبُهَا لَكُمُ الرَّبُّ مِيرَاثاً. "[4]، فكيف يكون المسيح المصلوب الملعون بزعمكم فداء للمؤمنين غير الملعونين ؟

والحقيقة أنَّ حكاية الفداء هذه ترجع إلى كثير من الأساطير الوثنية القديمة حيث كان الوثنيُّون يأتون برجل "يضحَّى به فى وقت البذْر حتَّى تخصب الأرض بدمائه... حتَى إذا ما حلَّ موسم الحصاد فسَّروه بأنَّه بعْثٌ للرجل الَّذى مات ضحيَّة، فكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة، ومن هذا الأصل نشأت

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس ١٢٦.
(٢) رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢.
(٣) المواجهة ٢٦٣.
(٤) انظر: تثنية ٢١: ٢٢ تحت عنوان ملعون من يعلق على خشبة، وراجع المواجهة ٣٥٣.

الأسطورة الَّتى تروى فى ألف صورة مختلفة كيف يموت الله فى سبيل شعبه، ثمَّ يعود إلى الحياة بعدئذ ظافرًا "[1].

والسؤال المهم الآن: هل تركت أسطورة الفداء المسيحيَّة هذه أثرًا فى تاريخ البشريَّة ؟

والإجابة: نعم، لقد تركت أثرًا بالغ العمق، انحدر بالإنسانيَّة إلى أسفل درجات الوحشيَّة والغلظة والقسوة، وإنْ خدعونا ـ كعادتهم ـ بمثل قولهم: "٣٥ وَلكِنْ، أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمُعَامَلَةَ، وَأَقْرِضُوا دُونَ أَنْ تَأْمُلُوا اسْتِيفَاءَ الْقَرْضِ، فَتَكُونَ مُكَافَأَتُكُمْ عَظِيمَةً، وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِى، لأَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى نَاكِرِى الْجَمِيلِ وَالأَشْرَارِ. ٣٦ فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ. "[2]، ويقولون فى صلاتهم " ١٢ وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا! "[3]، ويرددون دائما أنَّ الله محبَّة " ٧ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً: لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَصْدُرُ مِنَ الله. إِذَنْ، كُلُّ مَنْ يُحِبُّ، يَكُونُ مَوْلُوداً مِنَ الله وَيَعْرِفُ اللهَ." [4]، ويزعمون أنَّ المسيح نهاهم عن الانتقام " ٣٨ وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ؛ ٤٠ وَمَنْ أَرَادَ مُحَاكَمَتَكَ لِيَأْخُذَ ثَوْبَكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ أَيْضاً؛ ٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَسِيرَ مِيلاً، فَسِرْ مَعَهُ مِيلَيْنِ. ٤٢ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً، فَأَعْطِهِ. وَمَنْ جَاءَ يَقْتَرِضُ مِنْكَ، فَلاَ تَرُدَّهُ خَائِباً"[5]... إلى آخر ما يرددونه من مثل هذه الأقوال الَّتى أفرغوها من مضمونها، وحوَّلوا معانيها إلى القتل والسَّطو والنهب والاغتصاب والعدوان، وكل أنواع الشرور؛ فكان أتباع المسيح سلاح الشيطان على الأرض لنشر الفساد، وإقامة مملكة الشر، ولا عجب: أليس مغفورًا لهم كلَّ ما يفعلون ببركة العماد، والفداء ؟ بل فى إمكانهم أنْ يشتروا الغفران بالصكوك إذا عزَّ الحصول عليه بالبلطجة وسوء

---

(١) قصة الحضارة ١ / ١١٣.
(٢) لوقا ٦: ٣٥ ـ ٣٦.
(٣) متى ٦: ١٢.
(٤) رسالة يوحنا الأولى ٤: ٧.
(٥) متى ٥: ٣٨ ـ ٤٢.

الأدب؛ وأصبح أتباع المسيح أعوان الزمان على إنزال الكوارث والمصائب بالبشر، ورحم الله أبا الطيِّب المتنبِّى:

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قناةً  رَكَّبَ الْمُرْءُ فِى الْقَنَاةِ سِنَانَا

قد يقول قائل: إنَّك تدَّعى ادِّعاء بلا دليل، وتقول قولاً غليظًا وكأنَّ كلَّ ما فى العالم من شرور ونكبات إنسانيَّة مردُّها إلى أتباع المسيح وحدهم، وكأنَّ اليهود لا يخطئون، ولن نؤمن لك حتَّى تقدِّم بين يدى دعواك ما يؤكِّدها، ويكون حجَّة لها.

أقول: منذ أنْ بدأ شاول اليهودى فى تشويه رسالة المسيح عليه السلام وحرَّض المسيحيين على ترك تعاليم السماء والإيمان بأكاذيبه قائلاً لهم:

"١٥ نَحْنُ يَهُودٌ بِالْوِلاَدَةِ، وَلَسْنَا أُمَماً خَاطِئِينَ. ١٦ وَلَكِنَّنَا، إِذْ عَلِمْنَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ عَلَى أَسَاسِ الأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِى الشَّرِيعَةِ بَلْ فَقَطْ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَتَبَرَّرَ عَلَى أَسَاسِ الإِيمَانِ بِهِ، لاَ عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، لأَنَّهُ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ لاَ يُبَرَّرُ أَى إِنْسَانٍ."[1] منذ أنْ بدأ شاول اليهودى رسالتـه فى إفساد رسالة سيِّدنا عيسى عليه السلام منذ ذلك الوقت لن تجد فرقًا بين اليهود وبين النصارى، فكلهم صهاينة، وكلهم علمانيون ملحدون؛ فقد جمعت بينهم رسالة الشر، والمصالح المشتركة، بل إنَّ اليهود ركبوا النصارى، واتَّخذوهم أداة لتحقيق أطماعهم، ووسيلة للسيطرة على العالم، ونشر الضَّلال والكفر والإباحيَّة، والله ﷻ هو الَّذى جمع بينهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

ولن تجد فى رسائل بولس رسالة واحدة تخلو من الحط من الشريعة والدعوة إلى مخالفة تعاليم موسى عليه السلام، ألم يبح لهم عدم الختان الَّذى هو العهد بين الله وإبراهيم الخليل بزعمهم ؟ ألم يحل لهم أكل لحم الخنْزير ؟ ألم يغرهم بشرب الخمور ؟...

---

(١) غلاطية ٢: ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٠.

وأنا هنا سأذكر الأدلَّة القاطعـة الَّتى تثبت أنَّ المؤمنين بأسطورة الخلاص هم أنفسهم رسل الشر فى العالم كلِّه، وأساس البلاء فيه؛ ولست فى حاجة إلى أنْ أتحدَّث عن جرائمهم فى الحروب الصليبيَّة، وفى اختراع وسائل الدمار الشامل، وفى إباحة الفسق والفجور، وفى تجارة المخدَّرات وتصنيعها، وفى إبادة شعوب بأكملها والاستيلاء على أرضها وفى العدوان على الشعوب الآمنة، والاعتداء على الأموال والأعراض... فكل هذه الجرائم موثَّقة فى الدراسات التاريخيَّة المستفيضة وفى وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة... وإنَّما سأقصر حديثى هنا على مفاسد "البابويـة" رأس الكنيسة المسيحيَّة وجرائمها ضد الأخلاق والإنسانية والوقوف بحزم فى مواجهة الخير والسلام فى العالم، ولن أذكر فى وثائقى وثيقة إسلامية، أو رأيًا لعالم مسلم، وأنَّما سأثبت وثائقهم هم، وأستشهد بعلمائهم هم؛ ليحكموا على جرائمهم بأنفسهم من أقوالهم ومن أفعالهم، وأنشر أمامهم أعينهم صحائفهم السوداء الَّتى سطَّروها بأقلامهم، وكتبوها بأيديهم؛ ليكونوا شهداء على أنفسهم.

**مفاسد البابويَّة**

لم تعرف البشريَّة مؤسسة أو منظَّمة فى العالم ارتكبت من الجرائم ضد الإنسانيَّة ما ارتكبته المؤسسة البابويَّة المسيحيَّة، ولنبدأ بجرائمهم ضد أندادهم من البابوات؛ هل سمعت بقضيَّة البابا فورموسوس (Formosus) وكيف حوكم ؟

كان فورموسوس هذا بابا الفاتيكان لمدة خمس سنوات فى الفترة ٨٩١ ـ ٨٩٦م، وبعد وفاته، اختير البابا بونيفاتيوس (Bonifatius) من بعده للجلوس على كرسى البابوية، وخطر له أنْ يحاكم البابا السابق، فأمر بنبش قبره، وإخراج جثّته، ووضعوها على عـرش، وأخضعوها لمحاكمة ظالمة، وتولَّى أحد الشمامسة الأحياء الإجابة عن الأسئلة التى وجهت إلى الجثة، وصدر الحكم ضدّه، بإسقاط شرعيّة انتخابه، وعدم استحقاقه المنصب الدينى الكبير الذى كان يتولاه، وأنْ ينفَّذ فيه الحكم بعدم دفنه، وإلقاء جثّته القذرة فى نهر التيبر ( Tibre )[1].

(١) انظر: موسوعة المورد، مادة " فورموسوس " CD.

ما رأيك فى هذه المسرحيَّة الهزليَّة ؟ ونعود بعدها إلى "البابوية":

بين الكنيسة المصرية والكنيسة الكاثوليكيَّة عداء شديد دفين، لعلَّه أكثر بكثير مما يمكن أنْ يكون بين الإنسان والشيطان، أو بين القاتل وأبناء القتيل، يلتقيان فيبتسم كل منهما للآخر فى الظاهر، وفى القلب ألدّ الخصام، على الشفاه ابتسامة، وبين الضلوع الكراهية والحقد، وفى مصر يصدر أبناء الكنيسة المصريَّة كتبًا وصحفًا ونشرات توزَّع بالمجان، ويتداولها النَّصارى فيما بينهم، لا يطَّلع عليها المسلمون، والمصادفة البحتة هى الَّتى ساقت إلىَّ بعضًا من تلك "المدسوسات"؛ ذلك لأنَّ هناك أسماء كثيرة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، ولى صديق يعمل فى إحدى الشركات، واسمه لا يظهر فيه أنَّه مسلم، فاعتقد موزِّع تلك المطبوعات أنَّه مسيحى؛ فأرسل إليه بعضًا منها[1]، وفى واحدة من تلك النشرات تحمل عنوان "الإنذار الأخير للكرة الأرضيَّة"[2] فى ٣٢ صفحة تتناول ثلاثة موضوعات هى: الولايات المتحدة الأمريكية ـ البابوية ـ الأمم المتحدة، والَّذى يربط بين هذه الأطراف الثلاثة هدف مشترك قدَّمت له النشرة بالعبارة "سواء أردنا أو لم نرد، كلنا مشتركون فى منافسة عالمية شاملة مستميتة ثلاثية الأطراف، لكن معظمنا ليس من المنافسين بل نحن موضوع الرِّهان؛ هذا لأنَّ المنافسة موضوعها مَن سيؤسس أوَّل نظام حكومة عالمى لم يسبق له مثيل فى مجتمع الأمم... والمنافسة مستميتة؛ لأنَّها بمجرَّد أنْ بدأت لا سبيل إلى إيقافها، أو تحويل مسارها"[3].

تمنَّيت أنْ أنقل النشرة كاملة هنا ـ لولا أنَّها طويلة ـ ولكنَّنى أذكر فقط بعضًا من جملها، وفيها الكفاية:

✿ نجح المرتد الأكبر فى تعظيم نفسه "على كل ما يدعى إلهًا أو معبودًا" لقد تجرَّأ

---

(١) عنوان المراسلات ـ كما جاء فى النشرة ـ جلال دوس ص. ب. ٤٥، مدينة العاشر من رمضان، جمهورية مصر العربية ـ e-mail(gpdoss@hotmail.com)

(٢) ستجد فيما بعد صورة لغلاف النشرة، وعليه مضمونها، وصورًا لبعض فقرات منها.

(٣) العبارة لملاخى مارتن، وهو راهب يسوعى مطَّلع على أسرار الفاتيكان من كتابه Keys of this Blood ص ٥ كما جاء فى النشرة.

أنْ يغيِّر الوصيَّة الوحيدة فى النَّاموس الإلهى الَّتى ترشد البشر جميعًا بوضوح إلى الله الحى[1].

✿ تأسَّست البابويَّة فى القرن السادس تأسيسًا راسخًا، واتَّخذت من عاصمة الإمبراطوريَّة مقرًّا لفرض سيادتها، وأعلن أنَّ أسقف روما هو رئيس الكنيسة جمعاء، حلَّت البابويَّة محلَّ الوثنيَّة، وأُعْطَى التنينُ للوحش "قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا".

✿ أُجْبِر المسيحيُّون على اختيار أمر من أمرين: إمَّا التخلِّى عن نزاهتهم وقبول الطقوس والعبادة البابوية أو قضاء حياتهم فى غياهب السجون وملاقاة الموت بواسطة التمديد على المفلخة [ آلة تعذيب ] أو الحرق، أو بلطة الجلاَّد.

✿ "إنَّنا نحتلُّ على هذه الأرض مكانة الله القدير" البابا ليو الثالث عشر فى رسالة دوَّارة ٢٠ يونيو ١٨٩٤.

✿ إنَّ البروتستانتى المُلِمَّ بالتاريخ إلمامًا كافيًا لا يخامره شك فى أنَّ كنيسة روما قد سفكت دمًا بريئًا أكثر من أى مؤسسة أخرى وُجِدَتْ بين البشر جميعًا... يصعب تكوين فكرة تامَّة عن ضحاياها الكثيرين... يقدِّر المؤرخون أنَّ أكثر من أربعين ألف جريمة قتل ارتكبت باسم الدين لكل سنة من سنوات البابويَّة[2].

✿ اتَّخذت البابويَّة خطوة جريئة أخرى فى القرن الحادى عشر حينما أعلن البابا جريجورى الثامن أنَّ الكنيسة الرومانيَّة تتمتَّع بصفة الكمال، ومن ضمن المسلَّمات

---

(١) فى صفحة ٦ قائمة بنصوص دينية، وفى مقابلها التغيير الَّذى أحدثته الكنيسة الكاثوليكية وهذه الصفحة تجدها مصوَّرة فى نهاية الكتاب.

(٢) تشير النشرة إلى أنَّ المعلومات فى هذه الفقرة نقلاً عن كتابين، هما:

W.E.H. Lecky ; History of the Rise and Influence of the Sprit of Rationalism in Europe , vol ٢ p.٣٢ , ١٩١٠ edition.

John Dowling ; The History of Romanism.pp. ٥٤١-٥٥٢.

الَّتى افترضها أنَّ الكنيسة لم تخطئ قط، ولن تخطئ بحسب الكتاب المقدَّس، ولكنَّ السند الكتابى لم يوافق هذا الزعم كما ادَّعى كبير الأحبار المتكبِّر [1].

✪ تمَّ استبدال فريضة العشاء الربَّانى الكتابيَّة بذبيحة القدَّاس الوثنيَّة، تظاهر الكهنة الكاثوليك من خلال شعائرهم السخيفة بتحويل الخبز والخمر إلى [جسد ودم حقيقى ] أى: الحضور الحقيقى لجسد ودم ربِّنا يسوع المسيح فى المائدة المباركة، كما هو ثابت فى الكتاب المقدَّس ( Cardinal Wiseman; lecture ٨ , Sec. ٣ , par.٢٦) لقد بلغت بهم الجرأة أنْ يدَّعوا القوَّة على خلق الله، خالق كلِّ الأشياء، طولب المسيحيون تحت تهديد القتل بأن يقرّوا بإيمانهم بهذه البدعة الشنعاء المهينة للسماء، أمَّا الجموع الَّتى رفضت فألقى بها فى ألسنة اللهب.

✪ يسجِّل التاريخ استشهاد ما يزيد على مائة مليون شخص لمجاهرتهم بإيمان مناقض لكنيسة روما ( Brief Bible Readings, p.١٦ ) فى ٢٤ أغسطس ١٥٢٧ قتل الروم الكاثوليك فى فرنسا وفق خطَّة مجهَّزة وبإيعاز من الآباء اليسوعيين ٧٠ ألف بروتستنتى فى غضون شهرين، وطرب البابا لمَّا سمع بنجاح الخطَّة ( Watchman November ٢١/١٩١٢ ) كريدة كاثوليكية.

✪ تأسست محاكم التفتيش فى القرن الثالث عشر، وهى أفظع وسائل للقمع

---

(١) إنَّ الدليل القاطع على كذب البابا جريجورى الثامن هو ما أعلنه البابا يوحنَّا الثانى ـ بابا الفاتيكان ـ فى صلاة القدّاس فى يوم الأحد ٣ / ١٢ / ١٩٩٩م حين دعا إلى الاعتراف بالخطايا التى وقعت فيها الكنيسة ضد الحب والسلام وحقوق الإنسان، وأبدى الندم على وقوع تلك الأخطاء وطلب المغفرة والصفح عنها، وفى الوقت نفسه أصدر البابا وثيقة عن الفاتيكان بعنوان "الذاكرة والمصالحة ـ الكنيسة وأخطاء الماضى" فى مطلع الألفية الثالثة لميلاد المسيح ﷺ ويعترف فيها بأنّ الحروب الصليبية كانت واحدة من تلك الأخطاء، علما بأنَّ موقع الوثيقة على شبكة المعلومات الدولية " الإنترنيت " هو:

**http://www.vatican.va/rom.../rc** con cfaith doc ٢٠٠٠٣٠٧ memory – reconc – itc en.htm ٠٣/٠٧/٠٠

وعن اعتذار البابا، والخلفية التاريخية للوثيقة راجع: مقال عبد العظيم حمّاد "اعتذر البابا فمتى يعتذر الرومان" المنشور فى الأهرام العربى العدد ١٥٧ بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٠م ص ٣٠، وانظر: مقال الأستاذ فهمى هويدى المنشور فى جريدة الأهرام اليومية فى باب "قضايا وآراء" العدد ٤١٣٧٨، بتاريخ يوم الثلاثاء ٢١ / ٣ / ٢٠٠٠ م، وانظر: الملحق الثانى ص ٥٥٧.

وظَّفتها البابويَّة لصالحها، كان رئيس الظَّلَمَة يعمل من خلال قادة الحكم الكهنوتى البابوى، ففى مجالسهم السرِّية كان الشيطان وملائكته يتحكَّمون فى عقول الرجال الأشرار، فى حين كان ملاك غير منظور من عند الله واقفًا فى الوسط، يُدَوِّن قراراتهم الآثمة فى سجل رهيب، ويكتب تاريخ الأفعال الَّتى احتجبت عن أنظار البشر من شدَّة بشاعتها، صرخت الأجسام الممزَّقة المشوَّهـة لملايين الشهداء إلى الله لينتقم لها من السلطـة المرتدَّة.

✿ كَرِه القادة البابويِّون النور الَّذى يكشف خطاياهم مثل الفرنسيين فى القديم.

✿ قال مارتن لوثر: أنا أعلم أنَّ البابا هو ضد المسيح، وأنَّ منصبه هو منصب الشيطان نفسه، البابويَّة هى مطاردة عامَّة الغرض منها تصيُّد النفوس، وتدميرها بأمر كبير الأحبار الرومانى.

لقد احترت أىَّ العبارات أذكر، وأيها أدع؛ فالنشرة كلها مجموعة من المعلومات الموثَّقة عن جرائم البابويَّة الماليَّة والخلقيَّة والإلحاديَّة وإذا كانت هذه هى قيادة العقيدة المسيحيَّة، فلنا أنْ نسأل ربَّهم يسوع المسيح: أ من أجل هذه النفوس المريضة المجرمة صُلبت ؟

أ من أجل هذه المخلوقات الدنيئة كان فداؤك ؟

أمن أجل هؤلاء البشر الأشرار كان الخلاص ؟

ليتك تأتى اليوم يا يسوع فتستردَّ خلاصك هذا ـ إنْ صحَّ حدوثه بزعمهم ـ فما كان إلاَّ نكبة على الإنسانيَّة، وشرًّا عَمَّ بلاؤه البشريَّة؛ فكفانا ما جرى بسببه، وما ارتكب باسمه.

تعال، وانظر بنفسك ماذا فعل أتباعك برسالتك ؟

أيرضيك تطاول البابا بنديكت السادس عشر ـ الَّذى يدَّعى أنَّه يمثِّلك ـ على رسول الإسلام، ونبى السلام محمد بن عبد الله ﷺ ؟

ونختم حديثنا عن رسالة المسيح ﷺ ببيان علاقته بمصر:

**مولد المسيح عليه السلام والرحلة المقدسة:**

تحدِّثنا البشائر أنَّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حُمل إلى مصر، خوفًا عليه من القتل" ١٣وَبَعْدَمَا انْصَرَفَ الْمَجُوسُ، إِذَا مَلاَكٌ مِنَ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ، وَقَالَ لَهُ: «قُمْ وَاهْرُبْ بِالصَّبِيِّ وَأُمِّهِ إِلَى مِصْرَ، وَابْقَ فِيهَا إِلَى أَنْ آمُرَكَ بِالرُّجُوعِ، فَإِنَّ هِيرُودُسَ سَيَبْحَثُ عَنِ الصَّبِيِّ لِيَقْتُلَهُ». ١٤فَقَامَ يُوسُفُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَهَرَبَ بِالصَّبِيِّ وَأُمِّهِ مُنْطَلِقاً إِلَى مِصْرَ، ١٥وَبَقِيَ فِيهَا إِلَى أَنْ مَاتَ هِيرُودُسُ، لِيَتِمَّ مَا قَالَهُ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». "[1].

ويذكر روبير جاك تيبو أنَّ المسيح وعائلته المقدَّسة أقاموا بأرض مصر، عندما شعروا أنَّ خطر الموت يهدِّدهم من جرَّاء جبروت هيرود وجنونه الدموى، " وقد حمل هذا الهروب إلى مصر ثراءًا رمزيًّا واضحًا؛ فقبل المسيح تلقَى كل من يوسف وموسى تعليمهما وثقافتهما ببلد الفراعنة[2].

ويحدِّثنا التاريخ عن دور مصر فى نشر المسيحية، وحمايتها، وتنظيمها، وابتكار نظام الديَّارات فيها، وهو دور مشهور معروف.

**رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ**

سيدنا محمد ﷺ: تقف سيرة الرسول محمد بن عبد الله ﷺ أنموذجًا فريدًا فى سيرة عظماء الرجال فى التاريخ كله؛ فلا نعرف رجلا سُجِّلت حياته تسجيلا كاملاً كما سُجِّلت سيرة الرسول الكريم ﷺ فجاءتنا مصوَّرة تصويرًا مفصَّلاً:

- فى مولده، وتربيته، وفى شبابه، وكهولته إلى وفاته.
- فى علاقاته الخاصة بأزواجه، وأبنائه، وأصحابه، وأعدائه.
- فى علاقاته العامة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية.
- فى تنظيمه المجتمع فى السلم، وفى الحرب.
- فى وضعه سياسة الدولة الداخلية والخارجية، والعلاقات بين الدول.

---

(١) متى ٢: ١٣ ـ ١٥.

(٢) موسوعة الأساطير والرموز الفرعونيَّة ٤١.

لعلَّ أصدق الأدلّة على أنَّ الإسلام دين البشرية الأوحد والخالد دليلان:

الدليل الأول: أنموذج السلوك البشرى القدوة، ويتمثل فى سيرة الرسول ﷺ والتى تروى جميع التفاصيل عن حياته؛ ليتأسَّى بها البشر، والَّتى لا تغفل شيئا من حياة الإنسان حتَّى أدق العلاقات الخاصة كالَّتى تكون بين الرجل وزوجة.

والدليل الآخر: الدستور الباقى الخالد المتمثّل فى القرآن الكريم؛ فلا زيف فيه، ولا ترجمة من لغة ماتت، ولا تحريف، وستظل لغته حيَّة إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها.

ونسب الرسول ﷺ موصول بمصر من أربع جهات:

الأولى: جَدَّته العليا الأولى السيِّدة "هاجر" أم سيِّدنا إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما السلام ـ.

والثانية: جَدَّته العليا الثانية زوج سيِّدنا إسماعيل عليه السلام.

والثالثة: أمُّه آمنة بنت وهب من بنى مناف وترجع جذورها إلى الهجرة المصرية الأولى.

والرابعة: زوجه مارية القبطية أم ولده إبراهيم.

ولنا على هذا النسب الشريف ملاحظتان:

الأولى: أنَّ صلة الرسول ﷺ بمصر متعددة: جدَّتان، وأم، وزوج.

والأخرى: لم ينجب الرسول ﷺ من جميع أزواجه إلاَّ من اثنتين:

الأولى: عربية قرشية هى السيِّدة خديجة الكبرى رضى الله عنها، وهى ذات حسب، ونسب، ومال.

والأخرى: مصرية هى السيِّدة مارية القبطية، وهى جارية، فقيرة، لا حول لها ولا طول، وكأنَّ الله ﷻ أراد للرسول الكريم ﷺ أنْ يجمع فى بيته جميع طوائف المجتمع الإسلامى:

الحر والعبد، الغنى والفقير، العربى والأعجمى.

**آخر الرسالات السماوية**

إنَّ أتباع كلِّ رسالة سماويَّة يظُنُّون أنَّ نبيَّهم آخر الأنبياء، ولن يكون من بعده نبيٌّ؛ قد يكون السبب إعجابًا به أو إكبارًا له، فبعد سيِّدنا يوسف عليه السلام ظنَّ المؤمنون أنَّه آخر الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[1].

وهذه دعوى باطلة؛ فالأنبياء فى بنى إسرائيل ـ بعد يوسف ـ كثيرون جدًّا، فقد يكونون بالمئات فى وقت واحد، ومن المعتاد وصفهم بالأنبياء الكذَّبين لكثرتهم، ومن المعتاد تكذيب بعضهما بعضا، فبعد وفاة سيِّدنا سليمان عليه السلام انقسمت دولته إمارتين، وفى عهد يوشافاط ملك يهوذا لقى ملك إسرائيل يستشيره فى حرب أرام، فجمع ملك إسرائيل الأنبياء للتشاور معهم، وكانوا نحو أربعمائة رجل، وتخلَّف ميخا بن يِمْلة[2].أكثر من أربعمائة وواحد من الأنبياء فى إمارة واحدة، ولعل عددهم فى الإمارة الأخرى قريب من هذا العدد، فكم يكون عدد الأنبياء فى الإمارتين ؟ وأيُّهم يصلح أنْ يكون آخر الأنبياء ؟

قال العقَّاد: "خير ما ورد فى وصف مكان الأنبياء بين بنى إسرائيل قول النبى ﷺ: (عُلَمَاءُ أُمَّتِى كَأَنْبِيَاءِ بَنِى إِسْرَائِيل)؛ فقد كان عمل النبى فى شعب إسرائيل كعمل العالم الفقيه فى الأمَّة الإسلاميَّة، ولم يكن من المستغرب أنْ يسمع بها الخاصَّة أو العامَّة فى وقت من الأوقات، ولم يكن قيامهم إنكارًا لقيام الأنبياء من قبلهم، بل هو تفسير للكتب والنُّذُر، وحضٌّ على اتِّباع السنن الَّتى رسمها لهم من قبل إبراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم من الأنبياء السابقين "[3].

---

(١) سورة غافر ٤٠: ٣٤.

(٢) الملوك الأول ٢٢: ٥ ـ ٩.

(٣) حياة المسيح ٣٧.

وربَّما كان اليهود وحدهم ـ من بين أصحاب الرسالات ـ هم الَّذين ينتظرون نبيًّا يخلِّصهم من أعدائهم، ويبنى لهم ملكهم، ولمَّا جاءهم المسيح أنكروا رسالته، وسعوا فى هلاكه؛ لأسباب تعلَّق بمصالحهم الدنيويَّة.

وأمَّا المسيحيُّون فلا يعترفون بنبى بعد ربهم عيسى، مع أنَّهم يروون كلامًا منسوبًا إليه أنَّه ما جاء إلاَّ ليكمِّل شريعة الأنبياء[1]، ويفسِّرون النصوص على هواهم؛ فقد جاء فى تفسيرهم هذا النص " لأكمل: أو أتم، من معانى الفعل اليونانى "حقق أو ملأ"، لا شكَّ أنَّ المعنى المقصود هنا هو المعنى الثانى، فلا يكتفى يسوع بتحقيق النبوءة، بل يريد أنْ يَبْلُغْ بها إلى كمالها، فيعيد إلى الشريعة معناها الحقيقى، فيجعلها تدرك كمالها الجذرى، وتستعيد بساطته الأصلية"[2]، فانظر كيف يبدِّلون كلمة التكميل بالتمام، وكأَّنه لا فرق بين اللفظين، وكأنَّ الفعل اليونانى هو كلام الله المنْزل.

واقرأ تعليقهم على جملة "حتى يتم كل شىْء" قالوا: عبارة يصعب فهمها، يرجَّح أنه لا يريد أنْ يقول: إلى أنْ أكون قد أتممت كل شىء على الصليب ولا إلى أنْ يكون تلاميذى قد أتمُّوا جميع وصاياى، بل إلى نهاية العالم تبقى للشريعة كل سلطتها، بعد أنْ يكون يسوع قد جدد قيمتها"[3].

إنَّ المسيحيِّين يفسرون النصوص على هواهم؛ ليدَّعوا أنَّ عقيدتهم آخر الرسالات السماويَّة، وهو ادِّعاء كاذب، فنحن لا نوافق على أنْ يكون المسيح ﷺ آخر الأنبياء وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ لم تستكمل الشريعة المسيحية كل جوانب الحياة الاجتماعية فى المجتمع؛ فليس فيها مثلا نظام للمواريث، وتُرِك أمر المال للهوى والشطط؛ فأوقع ظلما بين الأبناء، وفى بعض المجتمعات المسيحية يطبق نظام "حق البكورة" فيُعْطَى الابن

---

(١) انظر ٤٩١.

(٢) الكتاب المقدس نشر دار المشرق ح ١٥ ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق ح ١٧ ص٤٨ .

البكر كل الثروة، ويُحْرَم من يأتى بعده، وقد يَحْرِم المتوفَّى جميع أولاده، ويتبرع بكل ماله إلى جهة ما أو حيوان يحبه، وقد رأينا فى بعض المجتمعات الغربية من يوصى بترك ثروته كلها لكلبه، ويراه أكرم من أبنائه، وأوفى !!!، وقصَّة الكلب الملياردير فى أمريكا مشهورة، ومنشورة فى كل صحف العالم، فى الوقت الَّذى نجد فيه تنظيمًا دقيقًا شاملا فى الإسلام ـ وبنص القرآن الكريم ـ للفرائض المقررة لكل فرد، وأحكام الوصيَّة ومقدارها...

٢ ـ يبدو أنَّ دور المسيح كان قاصرا على التوفيق والتعديل لكل المذاهب اليهودية المتناحرة، " وكانت هذه التعديلات فى جملتها تثوب إلى وحدة متماسكة من القواعد والمثل العليا، لا بدَّ لها من " شخصيَّة " مستقلَّة عن هذه المذاهب جميعا، قادرة على عرض شعائرها وعقائدها على محكٍّ واحد متناسق الفكر والإيمان "[1]، وسبق أنْ بيَّنا أنَّ رسالة المسيح لم تأت بتشريع جديد؛ وإنَّما هى تصحيح لانحراف اليهود عن الشريعة الموسويَّة.

٣ ـ تعرَّضت نصوص البشائر إلى التبديل والتحريف والغموض، ومن الأسباب الكثيرة الَّتى أدَّت إلى ذلك الجهل باللغة الَّتى نزلت بها البشائر؛ فلا نعرف على وجه التأكيد اللغة التى كان يتكلمها المسيح، فبينما يؤكد أتباع الكنيسة الشرقية فى سورية أنَّه كان يتحدث السريانية، وأنَّها اللغة المقدسة فى شعائرهم، نجد أنَّ جميع الأناجيل التى وصلتنا مكتوبة باللغة اليونانية، وليس فيها إنجيل واحد بخط مؤلفه، فى الوقت الَّذى كانت فيه لغة التخاطب اليومية بين الناس هى اللغة الرسمية للدولة الرومانية وهى اللغة "اللاتينية"، فكيف ذلك ؟ وللقديس متى إنجيل بالآراميَّة.

ومن المعروف أنَّ المسيحيين فى القرون الأربعة الأولى بعد ميلاد المسيح لم يعترفوا بالبشائر ككتب مقدَّسة، لذلك تأخرَّ تدوينها إلى أواخر القرن الأول [ متى ٦٥، ولوقا ٧٦، ومَرْقُص ٦٤، يوحنا ت ١٠٠] واثنان من هؤلاء الأربعة "لوقا، ومَرْقُص" لم يريا المسيح على الإطلاق، وإنما يظن أنَّهما كانا من تلاميذ بطرس

---

(١) حياة المسيح ٤٢.

الأكبر، ونتج عن ترجمة البشائر إلى اللاتينية والسريانية والقبطية والعبرية أنْ كَثُرَ فيها الخطأ والخلط والتحريف، بحيث لا يمكن اتخاذها دستورا دينيا موثقا لأمّة خالدة على مدى الدهر، بعد أنْ ماتت لغته، واختلفت معانيه.

وليس يصحُّ فى حكم العقل أنْ يكون كتاب الرسالة الأخيرة الباقية إلى قيام الساعة كتابًا ميَّت اللغة، مجهول المؤلف، محرَّف النصوص ناقص الأحكام؛ فى الوقت الَّذى نجد القرآن الكريم معجزًا بأسلوبه، باقيا بلغته، محافظًا على نصِّه، كاملاً بأحكامه.

٤ ـ إذا كان دستور العقيدة الباقية يجب أنْ يُحْفَظَ ويُصَانَ، وأنْ يكون كاملاً شاملاً صالحًا لكل زمان ومكان؛ فمن الواجب أيضًا أنْ يكون الرسول المبلِّغ للرسالة قدوة صالحة للأفراد فى جميع شئون الحياة، والمسيح لم يكوِّن أسرة ولم يبن دولة، بل إنَّ أكثر سنوات عمره مجهولة؛ فكيف نقتدى به فى معاملة الزوج ؟ وكيف نقتدى به فى تربية الابن ؟ وكيف نقتدى به فى إعداد جيش أو فى رسم خطَّة ؟ وكيف نقتدى به فى المعاملات الماليَّة والتجاريَّة والدوليَّة... وليس له نصيب

ممَّا تقدَّم يتأكَّد أنَّ الإسلام هو آخر الرسالات السماويَّة لأنَّه استوفى جميع شروط الخلود والبقاء، وصدق رسول الله ﷺ، فعن أبى هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَثَلِى وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِى كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ، وَأَكْمَلَهُ إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إلاَّ مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ، فَكُنْتُ أَنَا هَذِهِ اللَّبِنَةُ)[1].

(١) مسند أحمد ٢/ ٢٥٦، ورواية جابر ﷺ قال: قال النبى ﷺ: مَثَلِى فِى النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَحْسَنَهَا، وَأَجْمَلَهَا، وَأَكْمَلَهَا إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَكَانَ مَنْ دَخَلَها، وَنَظَرَ إلَيْهَا، قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إلاَّ مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِىَ الْأَنْبِيَاءُ". إسناده صحيح. انظر: كتاب الأمثال فى الحديث النبوى ٢٩٨.